

علم التوحيد

دراسة ميسرة



تعلم التوحيد في خمسة أيام بلا معلم
أ. محمد سليم محمد

علم التوحيد

دراسة ميسرة ومعرفة معتبرة

المقدمة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين العلي العظيم رب العالم البديع، والصلاة والسلام على عباده الصالحين، الذين اصطفاهم أنبياء ورسلا مبشرين بالنعيم، ومنذرين بعذاب الضالين، وبعد فهذا بحث موجز في علم التوحيد يشتمل على دراسة موجزة ميسرة، لمعرفة واضحة معتبرة عند أهل البصيرة والخبرة، تنفع بتوفيق الله تعالى كل الطلبة، بأسلوب يناسب هذا العصر، متجنباً المسائل العويصة، والإشكالات الطويلة، ومستبعداً المجادلات الفضولية، والتفريعات الاستعراضية، بلا مدح وبلا تجريح، وبلا تضعيف وبلا تصحيح، وذلك كله لخصوصية علم التوحيد بالبراهين العقلية، وبالحكم على ثبوت النقل بالعقل، وبوجوبه على المكلفين العاقلين دون العاجزين المجادلين، والغرض من هذا الموجز أن يتمكن المسلم المكلف العاقل من معرفة ما يجب عليه نحو خالقه ورازقه، الله تعالى جل جلاله وعلا شأنه، فيعرف ما يجب وما يستحيل وما يجوز في حق الله تعالى وفي حق رسله عليهم الصلاة والسلام، ويعرف أيضاً الأمور المتعلقة بما يوجبه الإيمان بالله تعالى وبرسله عليهم الصلاة والسلام، فإذا كان الناس أعداءً ما جهلوا وإذا كانت معرفة الله تعالى ورسله لا تكون بالسمع، بل لا بد من إقامة الدليل العقلي النظري عليها، فيجب على كل مكلف عاقل أن يعرف ربه ورسله معرفة لا خفاء فيها ولا ريب، معرفة صحيحة على منهج العلماء العقلاء الباحثين، وأول ما يستحسن ذكره التعريف بعلم التوحيد وحاجة المسلمين إليه.

- علم التوحيد، هو: علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية المكتسبة من أدلتها اليقينية.
- موضوعه، إثبات الصفات الكمالية والتنزيهية لله تبارك وتعالى ولرسله عليهم الصلاة والسلام، وإثبات ما يترتب على الإيمان بالله تعالى وبرسله الكرام.
- اسمه: علم الكلام وعلم التوحيد.
- واضعه: أبو الحسن الأشعري، ت: 324 هـ.
- حكمه: الوجوب العيني على كل مكلف ذكر وأنثى من الإنس والجن، بالدليل الإجمالي، والوجوب الكفائي بالدليل التفصيلي.
- نسبه إلى العلوم، أنه: أصل العلوم الدينية.
- استمداده: من القرآن الكريم والسنة النبوية.
- مسأله: الواجبات والمستحيلات والجائزات.
- فائدته: معرفة العقائد الصحيحة والفاصلة.
- غايته: معرفة الله تبارك وتعالى، والفوز بالسعادة الأبدية.
- ومن الألفاظ المستعملة غالباً في هذا العلم، ما يلي:-**
- المقدّس، هو: المنزه عما لا يليق به.
- الذات، والمراد بها: كل ما يقوم بنفسه.
- اسم الذات، والمراد به: اسم الشخص مثل: رجل.
- اسم المعنى، والمراد به: اسم الصفة مثل: الذكاء.
- الأزل، والمراد به: القدم، والأزلي أعم من القديم، نسبة إلى قولهم: لم يزل، فهو ثابت لا يزول، مثل: أزني نسبة إلى الرمح المنسوب إلى ذي يزن.
- الناجز والنجيز: الحاضر، ومن قولهم: ناجزٌ بناجزٍ، أي: البيع يداً بيدٍ، وعاجلاً بعاجلٍ، ومنه: أنجز حرٌّ ما وعد.

- الجسم، والمراد به: حقيقة الشيء دون اسمه، أما العرض: فليس بذئ جسم ولا جوهر.
- العرض، وهو: ما يوجد في حامله ويزول عنه من غير فساد، مثل: لون الملون، وحركة المتحرك، وما لا يزول عنه، مثل، سواد القار والغراب.
- الجوهر: كل حجر يستخرج منه شيء ينتفع به، وما خلقت عليه طبيعة الشيء، والقائم بنفسه، أما الجوهر الفرد، فهو: الجسم الصغير الذي لا يقبل الانقسام، وهو الذرة.
- التسلسل، والمراد به: السرد المتتابع المترابط.
- الدور، وهو: عود الشيء إلى ما كان عليه.
- **خطة بحث: علم التوحيد دراسة ميسرة ومعرفة معتبرة.**

الصفحة	الموضوع
1	- المقدمة.
4	- تمهيد: بيان أقسام الحكم العقلي.
10	- <u>الباب الأول: الإلهيات.</u>
	- الفصل الأول: الواجبات العقلية النظرية، والشرعية.
	- الفصل الثاني: المستحيلات العقلية النظرية، والشرعية.
	- الفصل الثالث: الجائزات العقلية النظرية، والشرعية.
35	- <u>الباب الثاني: النبوات.</u>
	- الفصل الأول: الواجبات العقلية النظرية، والشرعية.
	- الفصل الثاني: المستحيلات العقلية النظرية، والشرعية.
	- الفصل الثالث: الجائزات العقلية النظرية، والشرعية.
53	- <u>الباب الثالث: السمعيات.</u>
	- الأمور المعلومة من الدين بالضرورة.
64	- خاتمة.
67	- المصادر.

التمهيد

أولاً: لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله، وهما جملتا الإقرار بالإسلام أو هما كلمتا الإسلام وتجمعان أمور التوحيد كلها فكلمة لا إله إلا الله تعني إقرار المكلف إقراراً اختيارياً بأنه لا معبود بحق إلا الله تعالى، وبأنه يجب له تعالى عقلاً وشرعاً كل كمال يليق بذاته المقدسة، ويستحيل في حقه تعالى كل نقص لا يليق بذاته المقدسة، ويجوز في حقه تعالى الممكنات، التي لا تتعارض مع مقام الألوهية المقدسة، وأنه تعالى له الأسماء الحسنى، منها: الله، والرحمن، تبارك وتعالى، وتعني أيضاً: إقرار المكلف إقراراً اختيارياً عملياً تطبيقياً بما جاء في الكتب السماوية، من أحكام، وشرائع، ومواعظ. أما كلمة محمد رسول الله ﷺ، فتعني إقرار المكلف إقراراً اختيارياً، بأن محمداً بن عبد الله بن عبد المطلب، القرشي العربي، المولود بمكة المكرمة في غرة ربيع الأول، في العام الثاني والخمسين قبل الهجرة النبوية، الموافق للثالث عشر من إبريل عام 571، من مولد عيسى ابن مريم عليهما السلام، هو خاتم رسول الله تبارك وتعالى، أوحى الله تعالى إليه بشرع وأمره بتبليغه للناس كافة، فبلغه ﷺ على أكمل وجه قولاً وعملاً وتقديراً، وأن محمداً له الأسماء الحميدة، منها: محمد، وأحمد ﷺ، وتعني أيضاً إقرار المكلف إقراراً اختيارياً عملياً تطبيقياً: بما قاله محمدٌ ﷺ، وبما عمله وبما أقره.

ثانياً: غاية مبلغ تعلق المسلم بكلمتي الإسلام: الوصول إلى مقام الصديقية، والفوز بسعادة الدنيا والآخرة.

ثالثاً: البحث في علم التوحيد يحتاج إلى تناول أمور ترتبط به وتنفعه، وهي أقسام الحكم العقلي، لأن العقل آلة الحكم، والنفس حاكمة، وأنواع الأحكام ثلاثة: شرعي وعقلي وعادي.

– الحكم الشرعي. وهو: خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين، بالطلب أو الإباحة، والوضع لهما، مثل: وجوب الصلاة بسبب دخول الوقت، ووجوب الصوم بطول شهر رمضان كل عام، والأحكام الشرعية إما ضرورية وهي الأحكام الثابتة المقطوع بصحتها، أو نظرية وهي ما تحتاج إلى نظر واستدلال.

– الحكم العادي، وهو: إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه، بواسطة التكرار بينهما على الحس، مثل: وجود الحرق للنار عند ملامستها للأجسام القابلة للحرق، ومثل: انطفاء النار بالماء.

– الحكم العقلي والنظري، الحكم العقلي: إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه، بواسطة النفس من غير توقف على تكرار ولا على سند شرعي، مثل: الكل أكبر من الجزء، فالعقل سر روحاني تدرك به النفس العلوم الضرورية عندها، بالوجدانيات والحواس بلا دليل، أو تدرك به العلوم النظرية عندها بموجب الدليل، وهو الحكم النظري، وأما المعرفة، فهي: إدراك جازم مطابق للواقع، لموجب ضروري أو نظري، لذلك فالمعرفة كالعلم، غير أنه لا يقال معرفة الله تعالى، بل يقال علم الله تعالى، فالله عالم وعليم.

ومن الحكم العقلي النظري: إدراك المقلد الجازم بقول الغير، في عقائد الإيمان، بحيث لا يرجع المقلد عن أحكامه الإيمانية المنتقاة لو رجع ذلك الغير، ولكن يجب على المقلد المستطيع النظر الموصل إلى المعرفة بالدليل، فإن لم يفعل كان عاصيا أو ظالما لنفسه.

رابعاً: أقسام الحكم العقلي والحكم النظري ثلاثة: واجبات ومستحيلات وجائزات.

1 – الواجب العقلي، وهو: الأمر الثابت الذي لا يقبل الزوال في ذاته، وهو قسمان: ضروري، مثل: الكل أكبر من الجزء، وخمسون نصف المائة،

ونظري، مثل: تمدد الأجسام بالحرارة، والنجم القطبي يقع في جهة الشمال، وحاتم الطائي كريم، وأن الله تعالى: عظيم.

2- **المستحيل العقلي**، وهو: الأمر المنتفي الذي لا يقبل الثبوت في ذاته، وهو قسمان: ضروري، مثل: الكل أصغر من الجزء، ونظري مثل: تمدد الأجسام بالبرودة، والنجم القطبي يقع في جهة الجنوب، وحاتم الطائي بخيل، وأن الله تعالى: ضعيف.

3- **الجائز العقلي**، وهو: الأمر القابل للانتفاء والثبوت، وهو قسمان: ضروري، مثل: الجسم يكون متحركا وساكنًا، والقمر يكون هلالًا وبدرا، ونظري مثل: خروج الفرخ من البيضة، واشتعال بعض السوائل، وإطلاق اليد على معنى القدرة، وإيجاد الله تعالى الكائنات.

خامسًا: القول بالواجب الشرعي والواجب العقلي، يرى أغلب علماء التوحيد: أنه يجب شرعًا على المسلم والمسلمة إنسيا أو جنيا وقت التكليف: معرفة خالقه ورازقه وهو الله الملك الحق المبين تعالى شأنه، وهذا الرأي مخالف لعلماء المعتزلة القائلين بأن ذلك واجب عقلي، فمن بلغته دعوة الإسلام وجب عليه شرعًا، أن يعرف الواجبات والمستحبات والجائزات العقلية النظرية، في حق الله تعالى، وحق رسله عليهم السلام، وأن يعرف ما ورد بالسمع من الله تعالى عن طريق رسله عليهم السلام، وهذا هو: الغرض والغاية من علم التوحيد، إلا أن المعتزلة يوجبون ذلك على كل مكلف، ولو لم تبلغه الدعوة.

سادسًا: تقدست وتعالّت معرفة حقيقة ذات الله تعالى، حيث لا تجب على الخلق معرفة حقيقة ذاته، لا عقلا ولا شرعًا، لعدم الإمكان عقلا، ولعدم الأمر بها شرعًا، حيث يروى عن الرسول محمد ﷺ، قوله: إن الله تعالى احتجب عن البصائر كما احتجب عن الأبصار، وإن الملائكة الأعلى

يطلبونه كما تطلبونه،^[1] أو كما قال، وقال ﷺ: تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق، أو كما قال، لأنه جل جلاله لا تحيط به الفكرة، ومن الأدلة العقلية على استحالة معرفة الذات العلية:-

- الإقرار بالعجز عن الإدراك: إدراك، كقول عالم النحو: المسائل الفقهية، يسأل عنها الفقيه، لذلك قالوا عين العقل قول القائل: وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عم.

- وجود أمور معروفة مألوفة غير مرئية: مثل: الهواء والرياح والرعذ والحلاوة والمرارة والألم والروائح والروح والموت.

- أن الله تعالى بين للناس أسماءه الحسنى في القرآن الكريم بقوله: والله الأسماء الحسنى فادعوه بها، سورة الأعراف، الآية:180.

- أن الله تعالى بين للناس صفته ونعته بقوله: قل هو الله أحد الله الصمد، سورة الإخلاص، الآية:1، وقوله: هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم، سورة الحديد، الآية:3.

- أن الله تعالى بين للناس أقواله وأفعاله بقوله: إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كم فيكون، سورة النحل، الآية:40.

- أن الله تعالى بين للناس ذاته بقوله: ليس كمثل شيء وهو السميع البصير، سورة الشورى، الآية:11.

سابعاً: أرسل الله تعالى للبشر رسلا من جنسهم البشري خاصة، وليسوا من ملائكة الله تعالى، وذلك لعدم تمكن البشر من النظر إلى الملائكة، زيادة على عدم الفهم منهم، فرسل الله تعالى عليهم الصلاة والسلام هم بشر

[1] أحمد الصاوي، حاشية على شرح الخريدة البهيمة، لأحمد الدردير، ص:25، ط: 1947م، مطبعة مصطفى البابي، بمصر.

معصومون من الخطايا، ومبرءون من الأخلاق الذميمة، ويجب لهم كل كمال بشري يليق بمقامهم عند الله تعالى.

ثامنا: السمعيات، وهي: أمور ثابتة من ثبوت الإيمان بالله تعالى وبرسوله عليهم السلام، لأنها أحكام ووصايا أنبأ بها الله تعالى خلقه عن طريق رسله الصادقين المبلغين عنه، فيجب الإيمان بالسمعيات تبعاً للإيمان بالله تعالى وبرسوله عليهم السلام.

تاسعا: يدرس علم التوحيد على أساس تقسيمه إلى ثلاثة فنون: الإلهيات والنبوات والسمعيات.

عاشرًا: أشهر من ألف في علم التوحيد:

- عمر بن محمد النسفي، ت: 537هـ.
- وسراج الدين الفرغاني، ت: 569هـ.
- وأبو عبد الله الحسيني، ت: 895هـ.
- وإبراهيم الباجوري، ت: 1077هـ.
- وبرهان الدين اللقاني، ت: 1041هـ.
- وأحمد محمد الدردير، ت: 1201هـ.

هذا فلعلنا نستطيع أن نأخذ من هؤلاء العلماء الأجلاء، ما نحتاج إليه في معرفة أمور ديننا، لغرض زيادة اليقين ومعرفة أقوال القائلين، والله وحده جل شأنه هو المرشد المعين.

الباب الأول: الإهيات.

الباب الأول: الإلهيات.

لا إله إلا الله تعالى، المراد بالإلهيات المباحث أو المسائل المتعلقة بمعرفة الصفات الواجبات لله تعالى، والصفات المستحيلات والصفات الجائزات في حق الله تعالى، وكلمة الله: اسم للذات العلية، غير مشتقة، والألف واللام منها، وقيل مشتقة من أله إذا عبد، فإنه هو المعبود، ومن الوله وهو الحيرة، أي: تحار العقول في عظمته، ومن لاه، إذا علا، والمراد بلا إله إلا الله: لا معبود بحق غير الله تعالى.

تطلع العقل البشري إلى معرفة خالقه ورازقه منذ البدء، فرغبة العقل البشري في معرفة الله تعالى أمر فطري متأصل فيه، لذلك فقد تخيله العقل قديما آلهة كثيرة بدون دليل وكان غرضه من تصورها: السكون إليها وإرضاء المشاعر وتهدئة العواطف والانفعالات، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْإِفْلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، سورة الأنعام، الآية: 74/ 79.

ولأجل معرفة الله تعالى على الوجه الصحيح، الوجه الذي ارتضاه العقل البشري الراجح خلال عصور طويلة وبعد التمرن على الدراسة، وبعد كثرة المناقشات والمناظرات، جعلوا لذلك علما خاصا يعرف بعلم التوحيد، وقسموا إلى ثلاثة أقسام، هي: الواجبات والمستحيلات والجائزات، وفقا لمقتضيات العلم والمعرفة والبصيرة واليقين والشهادة الجازمة.

الفصل الأول: الواجبات العقلية النظرية، والشرعية.

أولاً: الواجبات العقلية النظرية

الدليل الإجمالي

قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، سورة محمد، الآية:19، لذلك يجب شرعا على كل مسلم مكلف أن يعرف بالدليل العقلي: أنه يجب لله تعالى إجمالا: كل كمال يليق بذاته المقدسة، من جميع الصفات الطيبات التي لا نهاية لها في الذهن ولا في نفس الأمر، وأن الله تعالى وحده يعلمها على وجه التفصيل، وأما العقل البشرى فيعلم أن الأعداد لا نهاية لها وأن المستقيمات لو مدت فلا نهاية لأطرافها، فلو لم يجب لله تعالى كل كمال يليق به لأحاطت به الفكرة كما تحيط بالحوادث، ولو كان ذلك كذلك لا يكون إلهها، وبما أنه لا بد من إله خالق لهذا العالم البديع، وقد دلت الشرائع السماوية والمعجزات على أن خالق العالم البديع هو: الله تبارك وتعالى، فيجب له تعالى كل كمال مختص به لا يشاركه فيه أحد، ويليق بذاته المقدسة العلية.

الدليل التفصيلي

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، سورة الإخلاص، قرر علماء التوحيد أنه يجب شرعا على كل مكلف عاقل، أن يعرف بالدليل العقلي: أنه يجب لله تعالى تفصيلا عشرون صفة، وهي:

1. الوجود، 2. القدم، 3. البقاء، 4. المخالفة للحوادث، 5. القيام بالنفس، 6. الوحدانية، 7. الحياة، 8. القدرة، 9. الإرادة، 10. العلم، 11. الكلام،

12.السمع، 13.البصر، 14. كونه تعالى قادرا، 15.مريدا، 16.عالماء،
17.حيا، 18.سميعا، 19.بصيرا، 20.متكلما.

تنقسم الصفات الواجبات لله تعالى إلى خمسة أقسام، القسم الأول: صفة واحدة نفسية، والقسم الثاني: خمس صفات سلبية، والقسم الثالث والرابع: سبع صفات معان، قديمة قدم الذات المقدسة، والقسم الخامس سبع صفات معنوية، ليست زائدة عن المعاني.

— **القسم الأول** صفة نفسية: يجب لله تعالى: الوجود.

1. الوجود، قال الله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، سورة الفاتحة، قرر علماء التوحيد أنه يجب شرعا على كل مسلم مكلف أن يعرف بالدليل العقلي أنه يجب لله تعالى: ثبوت الوجود، وذلك لثبوته لجميع أجزاء هذا العالم، لأن وجود الشيء دليل على وجود صانعه، فالمخلوقات لا بد لها من خالق ما دامت حقائق الأشياء ثابتة والعلم بها متحقق.

— لَمَّا كَانَ الْعَالَمُ حَادِثًا بَعْدَ عَدَمٍ، وَمَفْتَقِرًا ابْتِدَاءً وَدَوَامًا إِلَى مَوْجِدٍ يُوْجِدُهُ وَيُدْبِرُ أَمْرَهُ، وَلَا يَزَالُ مُتَغَيِّرًا - وَلَوْ كَانَ جَبَلًا أَوْ كَوْكَبًا - فَلَا بَدَّ لَهُ مِنْ صَانِعٍ مَوْجُودٍ وَمَخْصُصٍ حَكِيمٍ.

— وَلَمَّا كَانَ الْعَالَمُ الْبَدِيعَ مَخْصُوصًا بِالْإِتْقَانِ وَعَجِيبَ الْعَنَاءِ بِلَا نَقْصَانٍ كَانَ خَالِقَهُ: ذَاتًا، مَوْجُودَةً مَوْصُوفَةً بِالْقُدْرَةِ وَالْإِخْتِيَارِ، لَا عِلَّةَ وَلَا طَبِيعَةَ، فَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَخْرِقُ الْعَادَاتِ وَيَحْدِثُ الْمَعْجَزَاتِ الْعَمَلِيَّةَ وَالْعِلْمِيَّةَ، أَمَّا الطَّبِيعَةُ الْعَمِيَاءُ الَّتِي تَتَخَبَّطُ تَخَبُّطًا عَشْوَانِيًّا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِيجَادَ الْعُلَمَاءِ وَالْأَذْكِيَاءِ، بَلْ هِيَ تَسِيرُ وَفَقَ إِرَادَةَ اللَّهِ تَعَالَى.

- إن إقامة البراهين على وجوب الوجود لله تبارك وتعالى كثيرة جداً، وذلك بمقدار التأمل في ملكوت السموات والأرض ودقائق الإبداع في المخلوقات، ومن ذلك التأمل مثلاً: في وجود الإنسان.
- وجود الإنسان** دليل على وجود الله تعالى من حيثيات عديدة منها:-
- أن الله تعالى: قاد الوالدين بزمام الشهوة مقهورين باطنا، مختارين ظاهراً مع تمام البسط والإنس لوضع نطفة في مقر.
- أنه تعالى: صان الجنين في قرار مكين، وخلق النطفة علقة ثم خلق العلقة مضغة ثم مدها، وصورها في أحسن صورة.
- أنه تعالى: جعل رأس الإنسان في أحسن صورة، وصور العينين والأذنين والأنف، وأودع الوجه من الجمال ما لا يخفى.
- أنه تعالى: أودع البصر في العينين والسمع في الأذنين والشم في الأنف، فهو مجبور على النظر والسمع والشم إلا إذا احتال.
- أنه تعالى: خلق فم الإنسان وزينه بالشفيتين، وخلق اللسان وخلق فيه الذوق، وجعله جنداً من جنوده تعالى، يترجم عما في الفؤاد من العلوم والمعارف.
- أنه تعالى: جعل رقبة الإنسان حاملة لعرش الرأس في حسن بديع، وجعل فيها المنفذ الموصل للأكل والشرب إلى المعدة.
- أنه تعالى: أودع في البطن من الأمعاء والمصارين والقلب والكبد وغيرها، مما لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى جل شأنه.
- أنه تعالى: خلق الأيدي وخلق فيها الأكف والأصابع، وجعلها مفاصل وأبدعها، والأرجل كذلك، وكسا العظام لحماً.
- أنه تعالى: نفخ الروح في الإنسان، والروح سر عجيب من أسرار الله تعالى.

– أنه تعالى: يحرك الجنين في بطن أمه في أمن ورعاية فائقة، مع ضيق المكان وبعده الغذاء، وعدم معرفة الجنين.

– أنه تعالى: يلهم الجنين بمجرد نزوله من بطن أمه إلى ثديها، وقد أجرى الله فيهما اللبن، وأنزل بقلب الأم الرأفة والرحمة حتى أنها ترى بول ولدها وغائطه من أحسن ما يكون.

– أنه تعالى: علم الإنسان وقت أوان الأكل، وخلق له الأسنان والأضراس ورتبها ترتيباً عجبياً، مع ما فيها من كمال الزينة والجمال، ثم أسقطها ثم أبدلها بأقوى منها.

– أنه تعالى: فجر في فم الإنسان عينا جارية، وهي الريق الذي لا ينقطع جريانه، يبيل اللقمة ويسهل بلعها، لا تملء النفس ولا يستطيع الإنسان منعه.

– أنه تعالى: جعل بعض الطعام يتربى به اللحم وبعضه يتربى به العظم، وبعضه يتربى به الشحم وبعضه يتربى به الدم، مع كمال اللذة حال الأكل وبعده.

– أنه تعالى: جعل للإنسان مخرجين محكمين لإخراج الفضلات، وزوده بمعرفة أوقات الخروج.

– أنه تعالى: رءوف بالإنسان في كل الأحوال، بينما الإنسان غافل عن نفسه وعقله، فالنفس التي يحيا بها تدخل وتخرج حالة اليقظة والنوم والصحة والمرض، والعقل يفكر ويميز ويعرف العلوم والمعارف وما يضر وما ينفع.

– أنه تعالى: جعل في المخلوقات آيات لأصحاب العقول السليمة، تشهد على وجود الله تعالى، وتثبت ذلك، قال تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ

مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَإِخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَإِيتِعَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا
وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا
أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَه قَانِتُونَ وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ
فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ
ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ فَاقْمْ وَجْهَكَ
لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ مُبِينًا إِلَيْهِ وَآتَوْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، سورة،
الروم، الآية: 20، 31.

– الاستنتاج: يستنتج العقل السليم نظريا أن الله تعالى موجود، وأنه
موصوف بالصفات الطبيعية المباركات، وذلك بالحقائق النظرية الآتية:—
– إن لهذا الكون ولهذا الخلق البديع مبدعا عظيما، يفوق كل المخلوقات
ويقوم بأمرها ويتصف بكل كمال يليق به.

– إن محمدا بن عبد الله بن عبد المطلب رجل من قبيلة قريش، رجل
معروف، ولد بمكة وعُرف بها، واشتهر اسمه ودينه في العالمين، وقد
تواترت الأخبار العالمية النداء باسمه عشر مرات يوميا، فوق مآذن المعمورة
كلها في كل قطر ومحلة، ومنذ: 1441عاما، وقد وصفه أحابه وأعداؤه
بالصادق الأمين دون غيره، وذلك في مجتمعات الانحطاط والجهالة والجور،
وقد أقر محمد ﷺ، بأنه رسول الله تعالى، وأخبر بأن الله تعالى أنزل إليه
القرآن الكريم بلسان عربي مبين، وهو في الأربعين من عمره، القرآن الذي

يقرر ويؤكد أنه لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويفصل كل الحقائق التاريخية والعلمية والمواعظ الإلهية، القرآن الكريم هو معجزة محمد الكبرى، نزل من عند الله تعالى إليه عن طريق الوحي من ملائكة الله تعالى، جبريل عليه السلام، وقد قام محمد ﷺ بتلاوته وقراءته وتعليمه للناس خلال ثلاثة وعشرين سنة، من سنة:610م، إلى سنة:633م، وتحمل لأجل ذلك أعتى أنواع العصيان والخداع، ولم يطلب محمد ﷺ، أجرا ولا منصبا على دعوته هذه، بل عاش مضطهدا مطاردا بالوشايات والدسائس والإشاعات والتكذيب والحروب وكل مكائد العرب واليهود والنصارى، فلم يفتر لحظة واحدة عن تبليغ رسالة ربه تعالى للعالمين، صلى الله عليه وآله وسلم.

– إن القرآن الكريم هو كتاب متواتر صحيح، أعجز العلماء العقلاء من الأولين واللاحقين والمعاصرين، أعجزهم من جميع الوجوه، فهو الكتاب الذي تناوله العلماء الأفذاذ الأذكياء البارعون عبر العصور بالدراسة والشرح، بما لم ينله غيره من الكتب والعلوم، وأقروا بإعجازه وأنه ليس من قول البشر وأنه سبيل فوز الإنسان وسعادته في الدارين.

– القسم الثاني: خمس صفاتٍ سلبية، فيجب لله تعالى: القدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية.

2. القدم، قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، سورة الحديد، الآية:3، يجب لله تعالى: القدم، وهو: سلب الأولوية، أو عدم افتتاحية الوجود، فإله تعالى لا أول لوجوده، لأنه لو كانت له بداية لكان حادثا، والحادث يحتاج إلى محدث والمحدث يحتاج إلى محدث آخر إلى ما لا نهاية، وهذا يؤدي إلى وجود آلهة لا نهاية لها، وهذا غير معقول، وبالمثل، لو لم يكن الله قديما لكان حادثا، ولو كان حادثا لاحتاج إلى محدث بالتبادل مع غيره، وهذا يؤدي إلى الدور وعدم معرفة الثاني من

الأول، وتوقف وجود أحدهما على عدم وجود الآخر، وهذا غير معقول، فلا مناص من أن يكون الله تعالى قديماً، بلا بداية وإلى ما لا نهاية.

3. البقاء، قال تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، سورة الرحمن، الآية: 27، يجب لله تعالى: البقاء وهو: سلب الآخريّة، أو عدم اختتام الوجود، فالله تعالى لا آخر لوجوده، ولو كانت له نهاية لكان حادثاً، والله ليس بحادث، كما تقدم، فيجب لله تعالى البقاء الدائم وإلى ما لا نهاية.

4. المخالفة للحوادث، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، سورة الشورى، الآية: 11، يجب لله تعالى مخالفة الحوادث وهي: سلب الحركة والسكون والكبر والصغر والفوقية والتحتية والحلول والاتصال والانفصال، وكل شأن من شؤون الحوادث، فليس تعالى عرضاً، ولا جرماً ولا جوهرًا،^[1] ولو ماثل الله المخلوقات لجرت عليه أعراضها وأوصافها، ولو جرت عليه لكان حادثاً مثلها، والله ليس بحادث، فيجب لله تعالى مخالفته للحوادث في كل ما كان ويكون، وفي الشكل والمضمون.

5. القيام بالذات، قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾، سورة البقرة، الآية: 267، يجب لله تعالى: القيام بالذات وهو: سلب الافتقار إلى المحل، أو المخصص، فذات الله تعالى ليست صفة ولا محتاجة، لأنه لو كانت صفة لم تقم بها الصفات، لأن الصفة لا تقبل صفة أخرى، وقد وجبت لذاته تعالى الصفات الكاملة، وبالمثل: ذات الله تعالى لم تكن محتاجة لأن المحتاج حادث، والله ليس بحادث، فالله تعالى: ذات مقدسة، يجب له: القيام بالذات.

[1] العرض هو: اسم لما لا دوام له ويقوم بغيره، والجرم هو: الجسد، والجوهر، هو: ما وضعت عليه الجبلة.

6. الوحدانية، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، سورة الإخلاص، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾، سورة النساء، الآية: 171، يجب لله تعالى: الوحدانية وهي: سلب الكثرة في الذات والصفات والأفعال، أو هي: عدم الشريك، فلو كانت ذات الله مركبة من أجزاء أو موصوفة بصفات الحوادث أو كانت أفعال الله تعالى مماثلة لأفعال المخلوقات لكان الله حادثاً، وإذا كان حادثاً لا يكون إلهاً، ولكن لا بد من إله واحد لا ينازعه ولا يعاونه شريك، فالله تعالى واحد أحد فرد صمد، أما أحوال الرسل عليهم السلام وأحوال الآباء والأمهات فليسوا أعواناً لله تعالى بل هم مجبرون على أفعالهم الوظيفية كالعبيد، وبالمثل فإن الأبناء والبنات والزوجات يكونون للاحتياج والإعانة، والله تعالى لا يحتاج إلى أنيس ولا معين، فتعالى الله عن أن يكون له أولاد أو أزواج أو آباء أو أمهات، وكذلك فإن الحلول في الأمكنة والأزمنة من لوازم الأجسام الحادثة المحتاجة لذلك، وذلك كله محال في حق الله تبارك وتعالى، بل تجب له تعالى الوحدانية، التي لا تقبل التجزئة ولا الحلول.

— **القسم الثالث:** أربع صفات من صفات المعاني القديمة قدم الذات المقدسة، فيجب لله تعالى: الحياة والإرادة والقدرة والعلم.

7. الحياة، قال تعالى: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، سورة البقرة، الآية: 255، تجب لله تعالى: الحياة وهي: صفة تحلية وجمال، أو هي: صفة أزلية، توجب صحة: العلم والإرادة، فلو لم يكن الله تعالى الموجود الباقي حياً لكان ميتاً، والميت لا ينجز العالم البديع ابتداء ودواماً، والموت: من أوصاف الحوادث، والله تعالى ليس بحادث، وكيف يموت وقد وجب له البقاء، فتجب لله تعالى: الحياة بلا سهو وبلا نوم وبلا

فناء، ولم تكن حياة الله تعالى كحياة المخلوقات ولا قريبة منها لأن حياة المخلوقات محدودة ومتفاوتة، وحياة الله تعالى: جمال وجلال.

8. الإرادة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾، سورة: الحج، الآية: 14،
تجب لله تعالى: الإرادة وهي: صفة تحلية وإفضال أو هي: صفة أزلية تخصّص الممكن ببعض ما يجوز عليه من وجود أو عدم أو مقدار ومكان وزمان وجهة، فلو لم يتصف الله تعالى بالإرادة والاختيار لآتصف بالقهر وعدم القصد، وذلك نقص في مقام الألوهية المقدسة، والله تعالى هو الخالق لكل شيء في العالم البديع بكمال إرادته الحكيمة، وهو المنزه عن كل عيب، ولم تكن إرادة الله كإرادة المخلوقات ولا قريبة منها، لأن إرادة الحوادث محدودة ومتفاوتة.....

تعلق إرادة الله تعالى: تتعلق إرادة الله تعالى بتخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه لأنها كما يلي:-

- إرادة ناجزة في الأزل بتخصيص الممكن على الوجه الذي سيوجد عليه فيما لا يزال، كتخصيص المؤمنين بالإيمان.
- إرادة سالحة في الأزل بتخصيص الممكن على أن يكون خلاف ما هو عليه كتخصيص الكافرين بالكفر.
- إرادة ناجزة في الحوادث بتخصيص الممكن: بالفعل وقت وجوده على وفق التخصيص الأزلي، كتخصيص الملائكة بالعبادة، ولأجل ذلك إرادة الله تعالى مع أوامره على أربعة أقسام كما يلي:-
- مأمورٌ به ومراد، الأول الإسلام، والثاني إسلام المؤمن.
- غير مأمورٍ به وغير مراد، الأول الكفر، والثاني كفر المؤمن.
- مأمور به غير مراد، الأول كالإسلام، والثاني كإسلام المنافق.
- غير مأمور به ولكنه مراد، الأول كالكفر، والثاني ككفر المنافق.

ويمكن القول إنه لا يخلو: إما أن يريد الله تعالى لعباده النجاة والثواب أو لا.

1. الله يريد للعباد الثواب فيعمل العباد بما يوصل إليه أو بما يوصل إلى ضده: - العبد يعمل بما يوصل إلى الثواب، فينال من طريق التوفيق الإلهي، مثل: توفيق الله تعالى لرسوله ﷺ، حيث نال رضوان الله تعالى.
- العبد يعمل بما يوصل إلى الثواب، فينال من طريق العبادة والصبر، والمجاهدة مثل: كل المكلفين من الإنس والجن.
- العبد يعمل بما يوصل إلى ضد الثواب فينال من طريق العناد مثل: ابن نوح.
- العبد يعمل بما يوصل إلى ضد الثواب فينال من طريق الاختيار كالفانطين والمرتدين.

2. الله يريد للعباد العقاب فيعمل العباد بما يوصل إليه أو بما يوصل إلى ضده: - العبد يعمل بما يوصل إلى العقاب فينال من طريق الطغيان كفرعون.
- العبد يعمل بما يوصل إلى العقاب فينال من طريق الاختيار كابن نوح.
- العبد يعمل بما يوصل إلى العقاب فينال من طريق التظاهر بالاستحقاق والتعالي، ككفر أهل الكتب السماوية.

- العبد يعمل بما يوصل إلى العقاب فينال من طريق العناد والتحايل كالمناققين. وفي مسودة هذا البحث علق الشيخ على عبد الله جوان رحمه الله عند مراجعته له قائلاً: "وباختصار إرادة العبد من إرادة الله تعالى، فإذا أراد الله أن يريد العبد شيئاً: أراد، وإذا لم يرد الله أن يريد العبد شيئاً، فلا يريد العبد".

9. القدرة، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، سورة: الحج، الآية: 6، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا﴾، سورة: الأنعام، الآية: 65، تجب لله تعالى: القدرة، وهي: صفة تحلية وجلال أو هي: صفة أزلية يتأتى بها إيجاد الممكن

وإعدامه، فلو لم يتصف الله تعالى بالقدرة لَأَتَّصِفَ بالعجز عن العمل، والعجز نقص عن مقام الألوهية، فالله تعالى هو الخالق لكل شيء في العالم البديع بقدرته، وهو المنزه عن كل عيب، ولم تكن قدرة الله تعالى كقدرة الخلق ولا قريبة منها لأن قدرة الحوادث محدودة ومتفاوتة.

تعلق قدرة الله تعالى: تتعلق قدرة الله تعالى: بإيجاد أو إعدام الممكنات

قدرة سالحة أو قدرة ناجزة.

— قدرة سالحة في الأزل لإيجاد أو إعدام الممكن على الوجه الذي سيوجد عليه فيما لا يزال، كخلق العالم البديع.

— قدرة ناجزة في الحوادث بإيجاد الشيء ولوازمه كإيجاد الخلق وأرزاقهم، وإيجاد الطيور وطيرانها، ولست ناجزة في المخلوقات كتعلق أقوال الإنس والجن وأفعالهم أو خواطرهم، وعلى ذلك فإنه تستجاب الدعوات في الدنيا ويضر السحرة الناس ويتحقق التفاؤل والتطير، فيكون ذلك الإيجاد بقدرة الله تعالى ويكتسب العبد جزاء فعلها.

10. العلم، قال تعالى: ﴿فَأَيُّمًا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، سورة: البقرة الآية: 115، يجب لله تعالى: العلم وهو: صفة تحلية وكمال، أو هو: صفة أزلية تنكشف بها الموجودات والمعدومات على ما هي عليه، انكشافا لا يحتمل النقيض بوجه، فلو لم يكن الله عالما لكان جاهلا، والجاهل لا يمكنه خلق شيء، والله هو الخالق لكل شيء في العالم البديع بكامل علمه المحيط، وهو المنزه عن كل عيب، ولم يكن علم الله تعالى كعلم المخلوقات ولا قريبا منه لأن علم الحوادث محدود ومتفاوت ومكتسب.

تعلق علم الله تعالى: يتعلق علم الله تعالى: بجميع الكليات والجزئيات.

يتعلق علم الله تعالى بجميع الكليات والجزئيات أزلا وأبداً، بلا تأمل وبلا استدلال لأنه: علم ناجز في الأزل، بانكشاف جميع الكليات والجزئيات.^[1]

— **القسم الرابع:** بقية صفات المعاني الثلاثة، القديمة قدم الذات المقدسة، فيجب لله تعالى: الكلام، والسمع، والبصر.

11. الكلام، قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾، سورة: النساء، الآية: 164، يجب لله تعالى: الكلام، وهو صفة أزلية، نفسية، ليست بحرف، ولا صوت، تدل على جميع المعلومات، فلو أن الله غير متكلم لكان الإنسان أفضل منه، ولو كان كلام الله بالحروف والأصوات لكان مماثلاً للحوادث، وهذا كله محال، لأن الله تعالى: يجب له كل كمال وأنه ليس بحادث وليس مماثلاً للحوادث.

تعلق كلام الله تعالى: يعلق كلام الله تعالى بجميع الكليات والجزئيات.

— كلام ناجز في الأزل بدلالته على الواجبات والمستحيلات والجائزات التي ستوجد والتي لم توجد.

— كلام صالح في الأزل بدلالته على الأمر والنهي قبل وجود المخاطبين.

— كلام ناجز في الحوادث بدلالته على الأمر والنهي عند وجود المخاطبين.

12-13 السمع والبصر، قال تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، سورة: الشورى، الآية: 11، يجب لله تعالى: السمع والبصر وهما صفتان أزليتان تنكشف بهما جميع الموجودات انكشافاً تاماً يغيّر الانكشاف

^[1] علم الله تعالى: يتعلق بأقسام الحكم العقلي الثلاثة: تعلق انكشاف، بينما يتعلق بها كلام الله تعالى: تعلق دلالة.

بالعلم وبأحدهما عن الآخر في الحقيقة ونفس الأمر، ولكن العقل البشري لا يمكنه أن يطلع على ذلك.

تعلق سمع الله تعالى وبصره: يتعلق سمع الله تعالى وبصره بالذوات والصفات.

- سمع وبصر ناجزان في الأزل بذات الله تعالى وصفاته.
- سمع بصر صالحان في الأزل بذوات الخلق وصفاتهم قبل خلقهم.
- سمع وبصر ناجزان في الحوادث عند وجودها.
- **القسم الخامس** سبع صفاتٍ معنويّة ليست زائدة عن المعاني، فيجب لله تعالى: الصفات المعنوية وهي الملازمة لصفات المعاني المذكورة: 14. حيا، 15. قادرا، 16. مريدا، 17. عالما، 18. متكلمًا، 19. سميعًا، 20. بصيرا.

يجب اتصاف الله تعالى بالصفات المعنوية التعليلية وهي: ما تلازم صفات المعاني السبع الحياة، والقدرة والإرادة والعلم والكلام والسمع والبصر، والمراد بالتعليل: التلازم، فالمعنوية ملازمة للمعاني، فمن ثبتت له الحياة كان حيا، ومن ثبتت له القدرة كان قادرا، ومن ثبتت له الإرادة كان مريدا، ومن ثبت له العلم كان عالما، ومن ثبت له الكلام والسمع والبصر كان متكلمًا وسميعًا وبصيرا، وقد ثبت بالأدلة العقلية النظرية أنه يجب أن يتصف الله تعالى: بصفات المعاني: فوجبت له الصفات المعنوية.

وقد أعجبني الاستلال على معرفة وحب غير المشاهد بقول الشاعر الذي يصف الحب عن طريق السماع، على البحر الكامل:—

ما كنتُ أعلمُ والضميرُ يصدقُ أن المسامعَ كالنواظرِ تعشقُ
حتى سمعتُ بذكركمُ فهويتكمُ وكذلك أسبابُ الغرامِ تعلقُ
قد تُنعشُ العطشانَ بلهَ ريقهِ ويغصُّ بالماءِ الكثيرِ ويشرقُ
فعسى عيوني أن ترى لكِ وجهاً يكاد الحسنُ فيه ينطقُ
وقال آخر في أهمية الخفاء و الستر والحجاب، على بحر الوافر:-
عَرَضْنَا أَنْفُسًا عَزَّتْ لَدِينَا عَلَيْكُمْ فَاسْتَخَفَّ بِهَا الْهَوَانُ
وَلَوْ أَنَّا حَفَظْنَاهَا لَعَزَّتْ وَلَكِنْ كُلُّ مَجْلُوبٍ مَهَانُ
لذلك فالأذكياء يخفون الأشياء الثمينة عن عيون الأقارب والأجانب.

ثانياً: الواجبات الشرعية

أجمع علماء التوحيد بعد الدراسات والمناظرات الطويلة، أجمعوا على أن نصوص القرآن الكريم ونصوص الحديث النبوي الشريف توجب على كل مكلف عاقل أن يعرف أنه: يجب لله تعالى إجمالاً كل كمال يليق بذاته المقدسة، ويجب له تفصيلاً عشرون صفة، السابق ذكرها، ويستحيل عليه أضرارها كما سيأتي، فالقرآن الكريم دليل على وجود الله تبارك وتعالى وعلى ثبوت صفات الكمال له، بالإضافة إلى الشرائع الحكيمة الصالحة للبشر في كل زمان وفي كل مكان، وما زال العلماء يستنبطون منه الكثير من العلوم والمعارف، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾، سورة البقرة، الآية: 255.

وأوجبت الأحاديث النبوية الشريفة أنه يجب لله تعالى كل الصفات الحميدة، وكل التحيات والصلوات الطيبات، ويروى أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قِيَمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمَحَمَّدٌ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَإِلَيْكَ أُنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ: فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَوْ كَمَا قَالَ.

الفصل الثاني: المستحيلات العقلية النظرية، والشرعية.

أولاً: المستحيلات العقلية النظرية

الدليل الإجمالي.

إذا ثبت بالدليل أنه يجب شرعاً على كل مكلف عاقل أن يعرف إجمالاً بعقله مع إقامة الدليل النظري أنه: يجب لله تعالى كل كمال يليق بذاته المقدسة، فإنه يجب عليه أيضاً أن يعرف ضد هذا المفهوم مع إقامة الدليل العقلي النظري عليه وهو أنه: يستحيل في حق الله تعالى كل نقص لا يليق به تعالى، حتى إذا كان ذلك النقص كمالاً للحوادث، كإنجاب الأولاد واتخاذ الزوجات، فيستحيل في حقه تعالى: البخل والظلم والكذب والغدر والحقد والمكر والشماتة والأنانية والاستبداد والسفه والضعف والغفلة والنوم والسهو والهزل واللعب واللهو وكل ما فيه شائبة نقص، والدليل على ذلك أنه لو اتصف الله تعالى بالنقص لكان عاجزاً، والعاجز لا ينجز شيئاً، ولكن الله تعالى وحده هو: خالق الكون ومبدع العالم البديع، فلا بد من أنه يجب له كل كمال يليق بذاته المقدسة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ آتَاخَذُنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾، سورة الأنبياء، الآية: 17، 16، 18، وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾، سورة المؤمنون، الآية: 115، 116.

الدليل التفصيلي

إذا ثبت بالدليل أنه يجب شرعا على كل مكلف عاقل أن يعرف تفصيلا بعقله مع إقامة الدليل النظري أنه: يجب لله تعالى عشرون صفة وهي: الوجود والقدم والبقاء إلخ، فإنه يجب عليه أيضا أن يعرف أضداد هذه الصفات مع إقامة الدليل العقلي النظري عليها وهو أنه: يستحيل في حق الله تعالى: العدم والحدوث والفناء والمماثلة للحوادث وعدم القيام بالنفس وعدم الوحدانية والموت والعجز وعدم الإرادة والجهل والبكم والصمم والعمى وكونه تعالى: ميتا وعاجزا ومكرها وجاهلا وأبكم وأصم وأعمى، والدليل على استحالة هذه الصفات: أنه من وجب له أمرٌ استحال ضد ذلك الأمر عليه، لأنه لا يجمع بين الشيء ونقيضه، وأن هذه الصفات تدل على العجز والضعف، والله تعالى: عظيم خالق العالم البديع، فلو اتصف الله تعالى بها لعجز عن صنع العالم البديع، ولأنه لو كان عاجزا: لم يستطع سد ذلك النقص، فالعجز والنقص: من سمات الحوادث، والله ليس بحدث، بل يجب له الوجود والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية، والجدول الآتي يبين الصفات الواجبة لله تعالى مع أضدادها المستحيلة في حقه تعالى.

أنواع الصفات	الصفات الواجبة	الصفات المستحيلة	
1. نفسية	1. الوجود.	1. العدم.	
2. سلبية	2. القدم.	2. الحدوث.	
	3. البقاء.	3. الفناء.	
	4. المخالفة للحوادث	4. المماثلة للحوادث.	
	5. القيام بالنفس	5. عدم القيام بالنفس.	
3. معاني	6. الوجدانية.	6. عدم الوجدانية.	
	7. الحياة.	7. الموت.	
	8. القدرة.	8. العجز.	
	9. الإرادة.	9. عدم الإرادة.	
	10. العلم.	10. الجهل.	
	11. الكلام.	11. البكم.	
	12. السمع.	12. الصمم.	
	13. البصر.	13. العمى.	
	4. معنوية	14. كونه: حيا.	14. كونه: ميتا.
		15. قادرا.	15. عاجزا.
16. مريدا.		16. مكرها.	
17. عالما.		17. جاهلا.	
18. متكلما.		18. أبكَم.	
19. سميعا.		19. أصم.	
20. بصيرا.		20. أعمى.	

ثانياً: المستحيلات الشرعية

لقد أجمع علماء التوحيد على أن نصوص القرآن الكريم ونصوص الحديث النبوي الشريف توجب على كل مكلف عاقل أن يعرف أنه: يجب لله إجمالاً كل كمال يليق بذاته المقدسة، ويجب له تفصيلاً عشرون صفة، كما تقدم بالدليل العقلي النظري والدليل الشرعي، لذلك فإنه يستحيل في حقه تعالى: أزداد هذه الصفات، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾، سورة الأنبياء، الآية: 22. 23. وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾، سورة القصص، الآية: 68. 75.

ويروى عن النبي محمد ﷺ: قوله: أن أعظم ذنب عند الله تعالى أن يجعل له نِدَاءً، كما يروى عنه قوله عن ربه جل جلاله: كذَّبني ابنُ آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي، فقوله: لن يُعيدني كما بدَّاني، وليس أولُ الخلق بأهون عليَّ من إعادته، وأما شتمه إياي، فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفواً أحدٌ.

الفصل الثالث: الجائزات العقلية النظرية، والشرعية.

أولاً: الجائزات العقلية النظرية

الدليل الإجمالي.

لقد ثبتت لله تعالى الأسماء الحسنى وصفات التوحيد العشرون، ولكن العقل البشري، ليس بوسعه الإحاطة بحقيقة الذات المقدسة لقول العلماء: كل ما خطر في بالك فهو هالك والله تعالى بخلاف ذلك، غير أنه لا بد من الوصف لغرض المعرفة والتفهم، وعلى سبيل المجاز لا في الواقع ولا في الحقيقة، مثل قولنا: من كان مع الله كان الله معه، فيجوز ذلك القول، باعتبار المراد منه: من عمل بالشرع وفقه الله تعالى أو حفظه الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾، سورة النحل، الآية: 127. 128.

الدليل التفصيلي.

— يجوز وصفُ الله تعالى: بأدلة الكمال البشري وأدوات القدرة والإرادة وذلك للترجمة والتعليم، وفقاً لما قرره علماء التوحيد، فلو لم يجز وصف الله بما يعرفه العقل البشري من القدرة وأدواتها لاستحال الفهم، ولما كان الله تعالى: مخالفاً للحوادث في ذاته وأفعاله وصفاته، بكيفية غيبية لا يستطيع العقل البشري تصورَها فإنه يجوز للعقل أن يلجأ إلى دلالات يستطيع بها الفهم، لكن بشرط وجود تلك الدلالات في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وبشرط تأويلها بما يلائم مقام الألوهية المقدسة، كالقدرة، والإرادة،

والعلم، مثل: يد الله، وقبضة الله، ونزول الله، ووطأة الله، ويمين الله، وعلو الله، وعند الله، ونحو ذلك.

— يجوز أيضا وصفُ الله تعالى: بأدلة القدرة البشرية، ومعاني القدرة والإرادة للترجمة والتعليم، ولكن بشرط أن تكون مقرونة بأفعال العباد، على أنها جزاءً على أفعال العباد، وليست صفات لله تعالى مثل: صلاة الله، ومحبة الله، وضحك الله، ومكر الله، وخداع الله، وحيل الله، وسخرية الله، ونحوها.

— يجوز في حق الله تعالى، تخصيص الممكنات، وإيجادها أو إعدامها، وفق علمه وقدرته وإرادته، مثل:—.

— خرق العادات جائز، لأن مبدع الأشياء قادر على تغييرها أو إلغائها.
— إيلاء الأطفال جائز، لتدريبهم على صعوبة الحياة، أو لابتلاء الوالدين.
— إثابة العاصي في الآخرة جائزة، لأن عدم إنجاز الوعيد فضل وكمال.
— تعذيب المطيع في الآخرة جائز، لأن الامتثال التام غير ممكن.
— رزق الكافر في الدنيا جائز، لتزهق نفسه وهو كاره غير أمل في شيء.
— تعسير رزق المسلم في الدنيا جائز، للابتلاء والإعانة على حسن الصبر.
— صحة الطغاة في الدنيا جائزة، لتوليتهم وإعانتهم على سوء مصيرهم.
— النفاق في المسلمين: جائز لابتلاء المؤمنين وعقاب المستهزئين.
— رؤية الله في المنام بالقلب لا بالعين، جائزة لرواية وقوعها لرسول الله ﷺ.
— تمثل الشيطان بالله في المنام جائزة، لأنها كذب، ولأن الله ليس كمثله شيء.

— رؤية الله في الآخرة: خالصة للمؤمنين جائزة لتنعيم المؤمنين.
قال علماء التوحيد: يجوز في حق الله تعالى: أن يخرق العادات الطبيعية والواجبات الضرورية، لأنه هو الذي خلقها، فلو عجز عن خرقها كان مقهورا ومماثلا للحوادث، والله غالب وليس بحادث، وقد جعل الله تعالى عصا موسى عليه السلام، ثعبانا، وأمات عزيزا مائة عام ثم بعثه، دليلا على نشـز

العظام تركيباً لائقاً وسترها باللحم، إلخ، وقالت العلماء أيضاً: إن الله تعالى: منع الشيطان من التمثيل بالرسول في المنام رحمة بالمؤمنين، وحتى لا تختلط عليهم الأمور، فمن رأى الله تعالى في المنام فالرؤيا غير صحيحة، بل هي تمثيل للشيطان، ومن رأى الرسول في المنام فالرؤيا قد تكون صحيحة أو تكون تصورات طبيعية مزاجية، أما رؤية الله تعالى يوم القيامة فهي: جائزة لمن دخل الجنة من الإنس والجن، وتتفاضل رؤية الله تعالى بالعين كما وكيفاً بحسب الإيمان وعمل الصالحات، ودليل جوازها: جواز رؤية الروائح مثلاً بإذن الله تعالى، لو أراد الله تعالى ذلك، وقد اعتبر علماء التوحيد رؤية الله تعالى نوعاً من الإدراك يخلقه الله تعالى متى شاء، ولأي شيء: شاء، في أي محل شاء ولا تقاس بشيء، لأن قياس الغائب على الشاهد فاسد، والله أعلم.

ثانياً: الجائزات الشرعية

قرر علماء التوحيد أن النصوص الشرعية من القرآن والحديث، تدل على جواز وصف الله تعالى بما يعرفه العقل البشري من معانٍ وأدوات، لمعرفة خصوصيات الذات الإلهية المقدسة، قال الله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، سورة: يس، الآية: 83، وقال الله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾، سورة: ص، الآية: 75، وقال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، سورة: النور، الآية: 35، ويروى عن رسول الله ﷺ، أنه قال: يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خيّرٍ منهم، وإن تقرب إلي بشبرٍ تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيتُهُ هرولاً، أو كما قال، ويروى عنه قوله ﷺ: إذا همَّ أحدكم بالأمر، فليركع: ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرُك بقدرتك، وأسألك من فضلك، فإنك تقدرُ ولا أقدرُ، وتعلمُ ولا أعلمُ، وأنت علامُ الغيوب، اللهم فإن كنت تعلمُ هذا الأمر، خيراً لي في عاجلِ أمري وآجلِهِ، فأقدره لي، ويسره لي ثم بارك لي فيه، اللهم وإن كنت تعلمُ أنه: شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبةِ أمري، فاصرفه عني واقدر لي الخيرَ حيثُ كانَ ثم رَضِّنِي بِهِ، أو كما قال.

الباب الثاني: النباتات.

الباب الثاني: النبوات.

أشهد أن محمدًا رسولُ الله ﷺ، المراد بالنبوات: المباحث أو المسائل المتعلقة بمعرفة الصفات الواجبات لرسول الله عليهم الصلاة والسلام، ومعرفة الصفات المستحيلات والجائزات في حقهم، والمقصود بكلمة النبي: إنسان حر من بني آدم أوحى الله إليه بشرع ولم يأمره بتبليغه، والمقصود بكلمة الرسول: إنسان حر من بني آدم أوحى الله إليه بشرع وأمره بتبليغه، فلفظ النبي أعم، لأن كل رسول نبي ولا عكس، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذنيه مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّكَذِّبٍ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَىٰ اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾، سورة الشورى، الآية: 51، 53.

وإذا كان العقل البشري مجبولاً على نقد الأنبياء من بني جنسه والتشكيك فيهم فإنه لا محالة من معاناة أنبياء الله تعالى الشديدة، من تكذيب المعاندين المجادلين ومن سخرية المستهزئين الظالمين، فقد تحملوا أصنافاً عديدة من التعذيب صادرة من أصحاب العقول المريضة بالحسد والهلع والعجلة والطغيان، تلك العقول التي ترفض الدعوة إلى الحق والعدل والأمن والمساواة والسلام، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ﴾، سورة ق، الآية: 14، 12.

ولأجل معرفة أنبياء الله ورسوله عليهم الصلاة والسلام على الوجه الصحيح، الوجه الذي ارتضاه العقل البشري الراجح بعد التمرن على الدراسة وكثرة المناقشات والمناظرات فقد قسم علماء التوحيد دراستها إلى ثلاثة أقسام، وهي: الواجبات، والمستحيلات، والجائزات، كما فعلوا ذلك في باب الألوهية.

الفصل الأول: الواجبات العقلية النظرية، والشرعية

أولاً: الواجبات العقلية النظرية

الدليل الإجمالي

قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾، سورة الأحزاب، الآية: 40، لذلك يجب شرعا على كل مكلف عاقل من الثقلين أن يعرف بالدليل العقلي أنه: يجب لرسول الله تعالى إجمالا كل كمال بشري يليق بمقام النبوة والرسالة المشرفة، مقام أنبياء الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام، فلو لم يجب لهم كل كمال بشري لكانوا مثل بقية البشر، فلم تكن لهم علامة تميزهم عن غيرهم، وأمكن ادعاء النبوة أو الرسالة من قبل الدهاة والطغاة، لذلك وجب وصفهم بكل كمال بشري مختص بهم لا يشاركونهم فيه أحد ويليق بذواتهم الجليلة عليهم الصلاة والسلام، ولو لم يجب الكمال البشري والعصمة الإلهية لهم لاحتمل كذبهم أو خيانتهم أو تدليسهم، كحال البشر في الاستعجال والطغيان والهلع وحب الذات، وذلك لا يجوز في مقام من اختاره الله تعالى مبلغا وداعيا وأسوة للعالمين، لذلك لم يكن لهم الافتيات على ما طبعوا عليه بأي حال من الأحوال، ولو أنهم حاولوا الافتيات لكذبهم الله تعالى وأبطل رسالتهم وضاعف لهم العذاب، لكن الله تعالى أثنى عليهم ومدحهم وصلى وسلم عليهم كما تصلي عليهم ملائكة الله تعالى، فهم الكرماء الرحماء الصابرون المجاهدون صلى الله عليهم وسلم.

الدليل التفصيلي

قال الله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾، سورة البقرة، الآية: 213، قرر علماء التوحيد أنه يجب شرعا على كل مكلف عاقل أن يعرف بالدليل العقلي النظري أنه يجب لأنبياء الله تفصيلا أربع صفات وهي الصدق والأمانة والتبليغ والفتانة.

1. الصدق، قال الله تعالى: في شأن رسوله محمد ﷺ، ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾، سورة الصافات، الآية: 37، يجب في حق رسل الله عليهم الصلاة والسلام الصدق وهو مطابقة أحكام تبليغهم للواقع، فلو لم يكونوا صادقين لم يصدقهم الله تعالى بالمعجزات، ولكنهم جاءوا بمعجزات خارقة للعادة مقرونة بالتحدي بلا معارضة من العقلاء ومن الله تعالى، لأن شأن ادعاء النبوة كذبا الفضيحة والهزيمة، ولقد تواتر صدق رسول الله صدق محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ عند قومه قبل البعثة وبعدها، ويستحيل في حقه ﷺ الكذب، لأن الله تعالى هو الذي اختاره واصطفاه من بين عباده وأرسله لهداية العالمين وهو القائل في كتابه: ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾، سورة العنكبوت، الآية: 3.

تواتر في التاريخ العالمي أن محمدا بن عبد الله بن عبد المطلب ادعى وهو في الأربعين من عمره في مكة المكرمة عام: 610م، أنه رسول من عند الله تعالى إلى الإنس والجن، وشرح للناس كيفية وقوع ذلك وجاءهم بالمعجزة الكبرى وهي القرآن الكريم بلسان عربي مبين، القرآن الذي أعجز العرب وغيرهم إعجازا كبيرا من جميع نواحي الإعجاز، معجزات أدبية وتاريخية وعلمية، وما زال العقلاء والعلماء في العالم كله يعتقدون الإسلام أفواجا منذ ذلك الزمن وإلى ما شاء الله تعالى، ومن معجزات محمد ﷺ، أنه

كان عالما بدون تعلم عالما ربانيا عظيما، وأصبحت أقواله وأفعاله محل دراسات عميقة في جميع شؤون الحياة النافعة وكان له ﷺ: القدر الأوفى والأعظم من حسن الخلق، كان ﷺ بطلا شجاعا يحتمي به الأبطال إذا اشتد النزال فحارب وحاجج وعلم وفسر وبين مسالك الدين وشؤون الحياة كلها، عاش عمره كله لتبليغ رسالة ربه بخلق عظيم وصبره كبير وحلم لا يضاهي، قال فيه ربه الله تعالى الملك الحق المبين: ﴿وَأَنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، سورة: ن، الآية:4. وقال فيه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، سورة: التوبة، الآية:129.

بناء على ما تقدم وتأسيسا على أنه لا فرق بين رسل الله تعالى فكل ما يجب في حق محمد ﷺ يجب حتما في حق رسل الله كلهم أجمعين لأنهم رسل من عند الله الواحد الأحد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وقد اصطفاهم من أفضل عباده ليبليغوا المكلفين بأمر التكليف، فيجب اتصافهم جميعا بالصدق قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾، سورة: النحل، الآية:36، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾، سورة الأحزاب، الآية:7، وفضلهم عند ربهم وتفاضلهم عنده لا ينقص مقام واحد منهم أبدا صلى الله عليهم وسلم.

2 . الأمانة، قال الله تعالى: حكاية عن رسول الله نوح ﷺ: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾، سورة الشعراء، الآية:107، يجب في حق رسل الله عليهم السلام: الأمانة وهي: حفظ بواطنهم وظواهرهم عن التلبس بمنهي عنه، فلو جازت خيانتهم لاحتمل وقوعها منهم، ولو وقعت منهم لكانوا قدوة فيها، والقدوة في الممنوعات ممنوعة، وبذلك لم

يتحقق ما أرسلوا من أجله ويكون إرسالهم عبثا وهذا كله محال، فيجب اتصافهم صلى الله عليهم وسلم: بالأمانة.

وقد ثبتت أمانة رسول الله محمد ﷺ بالتواتر قبل البعثة وبعدها، فإذا كان الله تعالى يرشده إلى مواطن الصواب والخطأ عن طريق الوحي بعد البعثة فلا يحصل الخطأ منه، وقد كان محمد ﷺ ينتظر الوحي كلما جد له أمر، وإن اجتهد جاءه التفويض أو التصويب لغرض تعليم العالمين، لأن كل شؤون الرسول ﷺ أسوة للعالمين، وقد كان محمد ﷺ شديد الحرص على حفظ القرآن الكريم حرصا على أمانته العظمى المتأصلة فيه ولحسن أخلاقه قال الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾، سورة القيامة، الآية: 16.

بناء على ما تقدم وتأسيسا على أنه لا فرق بين رسل الله تعالى فكل ما يجب في حق محمد ﷺ يجب حتما في حق رسل الله كلهم أجمعين لأنهم رسل من عند الله الواحد الأحد، فيجب اتصافهم جميعا بالأمانة قال الله تعالى: ﴿وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾، سورة الأنفال، الآية: 58.

3. التبليغ: قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾، سورة الأحزاب، الآية: 39، يجب في حق رسل الله عليهم الصلاة والسلام: التبليغ وهو إيصال الأحكام التي أمروا بتبليغها إلى المرسل إليهم، فلو لم يبلغوا لكانوا عاصين للأوامر ولم يتحقق الغرض من إرسالهم، ولو جحدوا بعض ما أمروا بتبليغه لكانوا كاذبين وخائنين ويكون الله تعالى لا يعلم بذلك في الأزل أو يعلمه وفوته، وكل ذلك محال لعصمة الأنبياء من الكذب والخيانة ولأن الله تعالى عالم في الأزل بما سيكون من جميع الكليات والجزئيات، فيجب اتصافهم صلى الله عليهم وسلم

بتبليغ الذي أمروا به، وقد ثبت تبليغ رسول الله، محمد ﷺ لرسالة الإسلام بالتواتر عن طريق تواتر القرآن الكريم المحفوظ بحفظ الله تعالى له، المحفوظ في المصاحف وفي قلوب المسلمين وغيرهم، والمقطوع بنسبته إلى الله تعالى وبنزوله على محمد ﷺ تواترا كتواتر الأذان والصلوات والصيام والحج قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾، سورة: النساء، الآية: 105، ولما كان كل ما وجب لواحد من رسل الله تعالى وجب لجميع رسله لأن المرسل واحد والهدف واحد فإنه يجب التبليغ في حق رسل الله تعالى كلهم عليهم الصلاة والسلام.

4. الفطنة: قال الله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾، سورة: يوسف، الآية: 3. يجب في حق رسل الله عليهم الصلاة والسلام الفطنة وهي حدة العقل وذكاؤه، فلو لم يكونوا فطناء لنسوا بعض ما أمروا بتبليغه، وذلك نقص في حق الله تعالى لأن الرسول دليل على مكانة المرسل، فكلما كان الرسول كاملا خاليا من العيوب كان الذي أرسله كذلك، والعكس صحيح، وكذلك لو لم يكونوا فطناء لاستغفلهم الكفار وانطلت عليهم الحيل واستدرجوا، لكن ذلك لم يحدث بدليل مناصبة الكفار العداء لهم مع ملازمة الإيذاء والحروب، ولم يكن الله تعالى ليرسل رسلا بلهاء ليسخر الناس منهم فإله تعالى لم يتخذ لهوا ولم يرد لعباء، وإنما أراد تفضيل رسله عليهم الصلاة والسلام على العالمين ثم تفضيل المؤمنين على الملائكة ثم تفضيل الملائكة على الشياطين وذلك بالعبادة وحسن الاختيار، وقد ثبت أن رسول الله محمدا ﷺ كان المثل الأعلى في الفطنة وحدة الذكاء والعلم وكمال العقل وذلك بالتواتر، ومن خلال أحاديثه الشريفة وأخلاقه العظيمة، مع أنه يعيش في مجتمع الغافلين

الجاهلين، وقد ثبت أن صاحب الخلق العظيم والعلم الغزير لا يكون إلا فطنا، وبالمثل فكل ما وجب لمحمد ﷺ وجب لبقية رسل الله تعالى كلهم، لأنهم جميعا رسل الله تعالى عليهم الصلاة والسلام، فلم يكن رسلُ الله بلهاء، وأما ما أجراه الله تعالى على بعضهم من سهو وشبهه فالغرض منه ابتلاء العالمين أو لأمر حكيم، ثم إن وقع منهم بعض سهو فهو دليل على بشريتهم. — يصرف الله تعالى رسله الكرام عن أمر ما، ليهت الكافرين ويعجزهم مع تمتعهم بالمعرفة والافتداز كما بهت الله تعالى النمرود حين غفل فلم يطلب من إبراهيم عليه السلام أن يأتي ربه بالشمس من المغرب ليغلب إبراهيم في الجدال، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، سورة: البقرة الآية: 258.

— يصرف الله تعالى رسله الكرام عن أمر ليشرع للمكلفين تصويب وإصلاح ما يطرأ عليهم في حالات السهو والغفلة، بلا قلق وبلا ضجر. — يصرف الله تعالى رسله الكرام عن أمر واضح، ليضل به مرضى القلوب فيجدون فيه ما يؤكد ضلالهم ويرسخ المكر في قلوبهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، سورة: الحج، الآية: 52، 54.

ثانياً: الواجبات الشرعية

أجمع علماء التوحيد على أن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، يوجبان على كل مكلف عاقل أن يؤمن إجمالاً بأن الله بعث أنبياء ورسلاً لا يعلم عددهم على سبيل الدقة إلا الله تعالى، وأن يؤمن تفصيلاً بأن الله تعالى بعث خمسة وعشرين رسولا وهم المذكورون في القرآن الكريم، وأن يعرف أنه يجب لهم عليهم الصلاة والسلام إجمالاً كل كمال بشري يليق بهم، ويجب لهم تفصيلاً أربع صفات هي الصدق والأمانة والتبليغ والفتانة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِأَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾، سورة النساء، الآية: 163-166، وقال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾، سورة الشورى، الآية: 13.

وأنبياء الله تعالى الخمسة والعشرون عليهم الصلاة والسلام هم:

1. آدم، 2. نوح، 3. إدريس، 4. هود، 5. صالح، 6. اليسع، 7. ذو الكفل،
8. إلياس، 9. يونس، 10. أيوب، 11. إبراهيم، 12. إسماعيل، 13. إسحاق،
14. يعقوب، 15. يوسف، 16. لوط، 17. داود، 18. سليمان، 19. شعيب، 20.
- موسى، 21. هرون، 22. زكرياء، 23. يحيى، 24. عيسى، 25. محمد.

تعدُّ الصلاة والسلام على رسل الله جميعاً من الواجبات في حقهم لأن ما ثبت لرسول من رسل الله تعالى وجب لجميع رسله عليهم الصلاة والسلام، قال الله تعالى في وجوب الصلاة على رسوله محمد ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾، سورة الأحزاب، الآية: 56، 57.

وقد قرر علماء الإسلام أن الصلاة والسلام على محمد تكون بألفاظ جميلة وجليلة منها: اللهم صل على محمد وآل محمد، وارحم محمدًا وآل محمد، وبارك على محمد وآل محمد، كما صليت ورحمت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العلمين، إنك حميد مجيد.

الفصل الثاني: المستحيلات العقلية النظرية، والشرعية.

أولاً: المستحيلات العقلية النظرية

الدليل الإجمالي.

لقد ثبت لدى العلماء بالدليل العقلي النظري أنه يجب شرعا على كل مكلف عاقل أن يعرف إجمالا بعقله مع إقامة الدليل النظري أنه يجب للرسول الله تعالى عليهم الصلاة والسلام كل كمال بشري يليق بهم، وكذلك يجب عليه أيضا أن يعرف ضد هذا المفهوم مع إقامة الدليل العقلي النظري عليه، وهو أنه يستحيل في حق رسل الله تعالى كل نقص بشري لا يليق بهم، لأنهم هم المبلغون عن الله تعالى، فهم رسل الله تعالى أناس أحرار من بني آدم أوحى الله تعالى إليهم بشرائع وأمرهم بتبليغها على الوجه الأكمل مع توفيقهم وإعانتهم بالمعجزات، وقد أدوا الأمانة وبلغوا الرسالة، لأن إرادة الله تعالى تعلقت في الأزل بأن يكونوا على المستوى الذي فعلوه، فلا يوصفون بما يدل على النقص أو ما يدل على خلاف الأولى، فيستحيل في حقهم إفشاء أسرار الله تعالى إلا لأولياء الله تعالى، كما يستحيل في حقهم الرياء والسرقا وحب الذات وحب السلطة وغيرها كالحقد والحسد والسفه والشماتة ونسيان الأحكام والعصبية وكل ما يشين الأحرار الشرفاء وعالية القوم والسادة والرؤساء، ولا إشكال عند العقلاء في ما غمض من الأمور إن وجد، نظرا لصحة وقوع الكم الكبير من الأمور الواضحة، فالأشياء الغامضة قد يكون لها مقصد آخر إما على سبيل المجاز كالاستهانة بالكفار أو تثبيتهم على الضلال، قال الله تعالى: ﴿قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾، سورة: الأنبياء الآية: 62، 63، أو على سبيل الحقيقة التي لا تحيط بها الفكرة، كقوله تعالى في حق موسى عليه السلام: ﴿وَقَتَلَتْ

نَفْسًا فَجَجَبْنَاكَ مِنَ الْعَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنٍ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ وَاصْطَنَعْنَاكَ لِنَفْسِي﴾، سورة: طه، الآية: 40، وخلاصة الأمر أن رسل الله عليهم الصلاة والسلام بريؤون مُبرؤون من كل نقص بشري لا يناسب اختيار الله تعالى لهم من دون العالمين.

الدليل التفصيلي

قرر علماء التوحيد أنه يجب شرعا على كل مكلف عاقل أن يعرف بالدليل العقلي النظري أنه يجب لأنبياء الله تعالى ورسله تفصيلا أربع صفات وهي الصدق والأمانة والتبليغ والفظانة، وكذلك يجب عليه أن يعرف أنه يستحيل في حقهم تفصيلا أضداد هذه الواجبات، وهي: الكذب والخيانة والكتمان والبلادة.

1. الكذب، قال الله تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾، سورة الحاقة، الآية: 45، 47، يستحيل في حق رسل الله عليهم السلام الكذب وهو مخالفة أحكام تبليغهم للواقع، ودليل استحالة الكذب في حقهم أنه قد ثبت لهم الصدق وأن الكذب صفة نقص بشري تتعارض مع مهام الرسالة الإلهية التي لا يمكن مخالفتها ما دام الله تعالى أرادها وقدرها، ولا شك في أن الله تعالى الغني الحميد أرسل الرسل إلى عباده المكلفين على جهة التفضل والرحمة والبراءة من المنافقين والكافرين، فلم يكن الله تعالى ليرسل رسلا كاذبين وهو الكبير المتعال الذي إذا أراد شيئا يقول له كن فيكون.

2. الخيانة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾، سورة: الأنفال، الآية: 58، يستحيل في حق رسل الله عليهم الصلاة والسلام: الخيانة وهي التلبس بمنهي عنه، ودليل استحالتها في حقهم ثبوت أمانتهم وأن الخيانة

صفة نقص بشري تتعارض مع مهام الرسالة الإلهية التي لا يمكن مخالفتها ما دام الله تعالى أرادها وقدرها، فلم يكن الله تعالى ليرسل رسلا خائنين وهو العليم الخبير.

3. الكتمان، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، سورة: البقرة، الآية: 140، يستحيل في حق رسل الله عليهم الصلاة والسلام الكتمان وهو عدم إيصال ما أمروا بتبليغه إلى المرسل إليهم، ودليل استحالتها في حقهم حصول تبليغهم الرسالات وأن الكتمان صفة نقص بشري تتعارض مع مهام الرسالة الإلهية التي لا يمكن مخالفتها ما دام الله تعالى أرادها وقدرها، فلم يكن الله تعالى ليرسل رسلا عاجزين وهو العلي العظيم.

4. البلادة، قال الله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾، النمل، الآية: 59. يستحيل في حق رسل الله عليهم الصلاة والسلام البلادة وهي الفهاة والغباء أو ضعف العقل وقلة الذكاء، ودليل استحالتها في حقهم اتصافهم بالفطنة والنباهة وإفحامهم للخصوم وأن البلادة صفة نقص بشري تتعارض مع مهام الرسالة الإلهية فلم يكن الله تعالى ليرسل رسلا جهلاء وأغبياء وهو العزيز الحكيم.

ثانياً: المستحيلات الشرعية

أجمع علماء التوحيد على أن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف يوجبان على كل مكلف عاقل أن يعرف أنه يجب لرسول الله تعالى إجمالاً كل كمال بشري يليق بذواتهم، ويجب لهم تفصيلاً أربع صفات كما تقدم بالدليل العقلي النظري والدليل الشرعي، لذلك فإنه يستحيل في حقهم أضرار هذه الصفات وهي الكذب والخيانة والكتمان والبلادة، ولكن أكثر الناس استهزؤوا بهم وكذبوهم حسداً وبغضا من عند أنفسهم، لعلمهم الجازم بعدم الوصول إلى مقامات الأنبياء العليا قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدَ إِلَيْنَا إِلَّا نُوْمَنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾، سورة آل عمران، الآية: 183، 184، وقال الله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، سورة يس، الآية: 30.

الفصل الثالث: الجائزات العقلية النظرية، والشرعية.

أولاً: الجائزات العقلية النظرية

الدليل الإجمالي

ثبتت لرسُل الله عليهم الصلاة والسلام الصفات الجليلة والمقامات الرفيعة وكل الكمالات البشرية عند الله تعالى وعند المؤمنين، وقد قرر العلماء جواز وصفهم بالأعراض البشرية كالأكل والشرب والمشى في الأسواق والزواج والإنجاب وبالصفات المحمودة كالبطولة والمروءة والحلم والرحمة والكرم، فيجوز في حقهم البشري كل أمر شريف لا يتعارض مع ما أرسلوا به كما يجوز في حقهم السهو البشري بقدرة الله تعالى وعلمه.

الدليل التفصيلي.

— شاءتُ حكمة الله تعالى أن يكون رسُّله إلى البشرية من جنس البشر دون الملائكة وذلك للحجة ولعدم اللبس، فيجوز في حق الرسل جميعُ الأعراض البشرية لأنه لو لم تكن فيهم لكانوا خلقاً مغايراً للبشر قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾، سورة الكهف، الآية: 110.

— شاءتُ حكمة الله تعالى، أن ينصر رسُّله ويؤيدهم بالأدلة والحجة البالغة، ومن ذلك الآيات أو المعجزات أو خوارق العادات خرقاً من الله تعالى الذي أبدعها، فيجوز ظهور المعجزات من الله تعالى على أيدي رسله مصاحبة ومؤكدة لدعواهم قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾، سورة البقرة، الآية: 23. وقال الله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ

وَإِنْجِيلَ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَحْلَلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا عَنِّي﴾،
سورة آل عمران، الآية: 48، 50.

— شاءتْ حكمة الله تعالى أن يتفضل على رسله في الآخرة بكثير من النعم وأن يعفو عن بعض المذنبين من المسلمين، فيجوز أن يهب الله تعالى رسله عليهم الصلاة والسلام نعمة الشفاعة بإذنه، لأن العقل البشري السليم يقر بأن الحاكم في الدنيا قد يهب لأحابه إطلاق سراح بعض المسجونين احتراماً وترقية لهم، فإله تعالى يتفضل على أحابه من خلقه الصالحين وأفضلهم الأنبياء والرسل بالشفاعة للمذنبين فيشفعون بأمر الله تعالى وينالون مكانة محمودة عنده وعند المؤمنين، وللشفاعة نعمتان من الله تعالى للشفعاء وللمشفوع لهم، ودليل على أن الله تعالى واسع العفو كثير النعم وأنه هو في الواقع والحقيقة صاحب الفضل والكرم، وإلغاء العقاب نوع من أنواع العفو والرحمة قال الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾، سورة البقرة، الآية: 255، وقال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، سورة الزمر، الآية: 44.

— شاءتْ حكمة الله تعالى أن يجعل العقول البشرية تصدق المعلومات الضرورية، فيجوز اعتبارُ الأمور المتواترة لدى العامة والخاصة: واجباتٍ عقلية نظرية ضرورية، فشهرة زكاة الفطر وصلاة العيدين مثلاً دليل ضروري على أنه من السنة النبوية كدلالة كون الكل أكبر من الجزء، فلا

يجوز للمسلم أن ينكر ما كان حقا في عرف العقل والتحليل، فلا يجوز إنكار الإسرائ والقضاء والقدر وتحريم لحم الخنزير ونحو ذلك من المعلومات، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، سورة يوسف، الآية: 2، وقال الله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، سورة البقرة، الآية: 75.

— شاءت حكمة الله تعالى أن يحكم بالجزاء العادل على أفعال العباد كيفما كانت إيمانية بقبول المعقول والرسالة والرسول، أو كفرية بنكران المعقول والرسالة والرسول، فالله الحكيم يهدي المهتدين الراغبين في الفهم والطاعة، ولا يهدي الضالين المضلين الراغبين في الجدل والتطاول، لذلك يجوز إخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام بالأمور الشديدة الحاسمة التي لا تستوعبها الفكرة البشرية لكي ينقسم الناس إلى مسلم ومؤمن ومنافق وكافر، كالإخبار بالبعث والجنة والنار ونحوها، فالمغيبات لا تقاس على المشاهدات لأنه لا يعلمها إلا خالقها، وليس من الغيبات ما يحتاج إلى تجارب وبحوث كتحويل البخار المتصاعد إلى ماء متساقط، فالعلم والتجارب والتطبيقات هي أرقى مراتب العبادة الجالبة للإيمان واليقين، وقد أجمع العلماء على أن القرآن الكريم كتاب علم بكل ما تحويه هذه الكلمة من معاني، قال الله تعالى في الغيبات: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾، سورة يس، الآية: 78، 81.

ثانياً: الجائزات الشرعية

قرر علماء التوحيد أن النصوص الشرعية من القرآن والحديث، تدل على أن رسل الله تعالى من الجنس البشري، يسري عليهم ما يسري على بني آدم من مشي في الأسواق وإنجاب للأولاد وسهوه، إلخ، وأنهم مميزون بالكمال البشري، فلذلك يجب تأويل كل ما لا يدل على ذلك، كما تقدم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، سورة: الأنبياء، الآية: 8. وقال الله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، سورة: الأحقاف، الآية: 9، وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾، سورة: التحريم، الآية: 1، 2. ويروى عن ابن مسعود قوله: دخلت على النبي ﷺ، وهو يوعك، فمسسته فقلت إنك لتوعك وعكا شديدا، قال: أجل، كما يوعك رجلان منكم، قلت لك أجران، قال: نعم، ما من مسلم يصيبه أذى مرضٍ فما سواه، إلا حط الله سيئاته كما تحط الشجرة ورقها، أو كما قال، وغير ذلك من الأدلة الشرعية.

الباب الثالث السمعيات

الباب الثالث السمعيات

آمنتُ بالله تعالى وملائكته وكتبه واليوم الآخر، المراد بالسمعيات: المباحث أو المسائل المتعلقة بمعرفة أمور غيبية أو اعتبارية، أخبرت بها الكتب السماوية وأخبر بها رسل الله تعالى عليهم الصلاة والسلام، وهي أمور لا تسعها الفكرة البشرية مثل مفهوم الإيمان والإسلام، وحقيقة الملائكة والجن والولي وكيفية قيام الساعة والبعث والجزاء ونحوها، قال الله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ نَارٍ حَامِيَةٍ﴾، سورة القارعة.

يتطلعُ الناس إلى معرفة المسائل الغريبة معرفة على جهة الحقيقة الملموسة، لذلك فإن أكثر الناس يترددون في الإيمان بالمغيبات منذ القدم، إما لقياسها على المشاهدات أو لصعوبة التصور، قال الله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَأُنَبِّئَنَّ ثُمَّ لَنَنْبَأَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ فَاْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّعَابِنِ﴾، سورة التَّعَابِنِ، الآية: 5، 9، وقد تناول علماء التوحيد باب السمعيات التي جاءت بها الكتب السماوية وأكدها المرسلون، حيث تناولوها بالدراسة والشرح عن طريق التمارين والمناقشات والمناظرات لأجل معرفتها معرفة على الوجه الصحيح، الوجه الذي ارتضاه العقل البشري الراجح وجاءت به شريعة الله تعالى السمحة.

الأدلة الإجمالية

الأمر الغيبية التي لا تحيط بها الفكرة البشرية والتي أخبرت بها الكتب السماوية عن طريق الأنبياء هي حقائق عقلية لا شك فيها، لأنها صادرة من الموثوق منهم المجرب كمال فضلهم في المشاهدات، كحثهم على بر الوالدين وصلة الرحم، واعتبار الأقربين أولى بالمعروف، وكقسمة التركات بالعدل ودفع الصداق والنفقة والصدقة والدية والحكم بالقصاص، وكبيان حقائق التاريخ والحث على كل ما فيه خير وسعادة للبشرية، فلو لم تكن السمعيات صحيحة لكان الأنبياء الذين أخبروا بها كاذبين خائنين، ولكانت الشرائع متناقضة فاسدة، صادقة في المشاهدات كاذبة في الغيبيات، وذلك محال، لأن الصادقين يتخرجون من الكذب ولأن الكذب وتخليط الأمور بلا هدف لا معنى له، وقد ثبت أن الإسلام لا يصح إلا بإقامة الدليل العقلي عليه وليس بالتمويه والأساطير، وأما التبشير والتخويف فلأجل البلاغ والمعذرة وليس للإجبار والقهر، قال الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، سورة البقرة، الآية: 256.

الأدلة التفصيلية

بالنظر في المخلوقات والكائنات البديعة يتبين أنها تؤدي وظائفها على أكمل وجه، فالأشجار تثمر والأسود تفرس والغزلان تزهو، ولكن الإنسان العاقل القوي المسيطر على المخلوقات لا يلتزم بوظيفة واحدة، فإذا كان القليل من العباد مؤمنين فإن أكثر الناس لا يؤمنون بما يعقلون، كالسارق الذي يعقل أن السرقة ضررٌ كبيرٌ إن وقعت في ممتلكاته ولكنه يجزم بملكيته لما سرق، تحقيقاً لرغباته وتغافلاً عن الفضائل، قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ

يَعْلَمُونَ»، سورة البقرة، الآية: 75. وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنْ الْأَحْزَابِ فَأَلْنَا لَهُ مَوْعِدَهُ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ»، سورة هود، الآية: 17. وقال الله تعالى: ﴿المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ»، سورة الرعد، الآية: 1. وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ»، سورة غافر، الآية: 59، لأجل ذلك لا بد من الجزاء المناسب على كل الأعمال، سواء بالثواب للمسلم أو بالعقاب للمنافق والكافر، وسواء كان الثواب والعقاب في دار الدنيا، أو في طور آخر من حياة أخرى عظيمة، لا تحيط بها الفكرة البشرية العاجزة عن الإحاطة بحقيقة الطور الأول الابتدائي، ولكن الله تعالى خالق العالم البديع أخبر بيوم القيامة يوم الدين في كتبه الكريمة عن طريق رسله الكرام، لذلك فإن صدق الرسالات السماوية وصدق المرسلين معلوم بالتواتر بين العامة والخاصة عبر العصور، فلا بد من الإيمان بما قرره شريعة الله تعالى في كل السمعيات، وذلك بالتسليم والقبول بلا قياس على المشاهدات، ومما يحتم الجزاء بالعدل ويستلزمه ما يلي:-

— قيام الساعة يقتضي أن للدنيا أجلاً ونهاية لأنه فائدة من التكرار إلى ما لا نهاية.

- الحياة البشرية تقاس على أفرادها من طفولة فشاباب فكهولة فموت.
- الثواب يخالغ العقول والنفوس المطمئنة وتتوقعه فخما وعظيما.
- العقاب يخالغ عقول المظلومين وتنتظره للظالمين وتتوقعه شديدا.
- ملذات الدنيا محدودة، فلذة الأكل مثلا قليلة جدا وتحصل وقت أكله فقط، كأنها رمز يشير إلى نموذج عجيب لا يخطر بالبال، وهذا قياس سائغ في ملذات الدنيا كطول العمر وبقاء الشاباب وزيادة الثراء.

ويروى عن حذيفة بن اليمان قوله: قلت يا رسول الله: إنا كنا في جاهلية وشر ف جاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟، قال: نعم، قلت: فهل بعد ذلك الشر من خير؟، قال: نعم وفيه دَخَنٌ، قلت: وما دخنه؟، قال: قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر، قلت فهل بعد ذلك الخير من شر؟، قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها، أو كما قال، وقال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ فَتَقَطُّوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، سورة المؤمنون، الآية: 53، وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، سورة الروم، الآية: 32.

مناقشة بعض السمعيات

الإيمان والإسلام الإيمان هو: تصديق الرسول ﷺ تصديقا قلبيا بجميع ما علم مجيئه به من الدين بالضرورة، فيما اشتهر بين أهل الإسلام وصار العلم به يشبه العلم الحاصل بالضرورة، بحيث يعلمه العامة بدون حاجة إلى دليل كوجود الله تعالى ووجوب الصلاة، ويطلق الإسلام: على المسلم الكامل المتظاهر بفعل الشريعة قولا وعملا، فالإسلام امتثال ظاهري بالشريعة، أما الإيمان فهو أخص منه لأنه امتثال ظاهري بالشريعة مع تصديق بالقلب، قال الله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، سورة: الحجرات، الآية: 14، 15، وقال الله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وقال تعالى: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، سورة: التوبة، الآية: 102، 106، ويظهر الفرق بين مدلول الإسلام والإيمان في وصف

المنافقين المتظاهرين بالإسلام، فهل يقال فيهم مسلمون أم مؤمنون؟، فالجواب يقال فيهم مسلمون للامتثال الظاهري، وقيل يجوز وصفهم بالإيمان أيضا على سبيل المجاز، لمجاورة الإيمان للإسلام ولخفاء النية، وبالمثل يظهر الخلاف في المبالغين والمقصرين الذين أضمرُوا حب الله تعالى وحب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أبداً، ونووا أن يؤمنوا أبداً، هل يقال فيهم مسلمون أو مؤمنون؟، فالجواب يقال فيهم مسلمون حتى لو ظهرت لهم كرامات وإعانات، ولكن ينبغي الأُنس بهم، أما تسمية المسلم ولي الله تعالى فعلى سبيل الدعاء له بذلك، وتحسين حال المسلمين، وإذا قيل هل يزيد الإيمان؟، فالجواب أنه يزيد إيمان المسلم الكامل بالعبادة وحب الله تعالى وحب رسوله ﷺ كما يزيد إيمان المسلم العاصي بالتوبة والاستغفار والعبادة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَنبِقُوا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾، سورة: المدثر، الآية: 31، وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾، سورة: فاطر، الآية: 32.

الملائكة الملك: جسم لطيف روحاني نوراني له القدرة على التشكيلات الجميلة، وملائكة الله تعالى خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الله وحده، قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، سورة: فاطر، الآية: 1، فيجب على المكلف أن يعرف من الملائكة ما قام الدليل بخصوصهم بالاسم وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائل وهم الرؤساء عليهم الصلاة والسلام، ورضوان خازن الجنة ومالك خازن النار

عليهما الصلاة والسلام، وكذلك ما قام الدليل بخصوصهم بالنعوع وهم حملة العرش والحفظة الموكلون بحفظ البشر، والكتابة الموكلون بكتابة ما يصدر من كل مكلف من قول أو فعل والمشهور فيهما أن لكل مكلف ملكين يسمى أحدهما الرقيب كاتب الحسنات وهو الرئيس والثاني العتيد كاتب السيئات، والمحققون الموكلون بأسئلة كل مكلف في قبره بعد الدفن أو شبه الدفن والمشهور فيهما أن لكل مكلف ملكين يسمى أحدهما منكرا والثاني نكيرا، عليهم الصلاة والسلام أجمعين.

الجن والفتن الجن: أجسام لطيفة نارية لها قدرة على التشكيلات الجميلة والقبيحة، وتحكم عليها الصورة، وهم من المكلفين بأحكام الشرائع الإلهية، فمنهم المؤمنون ومنهم الكافرون، بخلاف الشياطين الذين لا يكونون إلا كافرين، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِرَبِّنَا أَحَدًا وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾، سورة: الجن، الآية: 1، 3، وقال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾، سورة: الأنعام، الآية: 112.

والفتن هي: خدمة الضلال والحث عليه، يروى عن رسول الله ﷺ، أنه قال: ستكون فتن، القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه، فمن وجد ملجأ أو معاذا فليعد به، أو كما قال، كما يروى عنه قوله: تملأ الأرض جورا وظلما، فيخرج رجل من عترتي، يملك سبعا أو تسعا، فيملؤها قسطا وعدلا، أو كما قال.

علامات قيام الساعة ونهاية الحياة الدنيا

1. الدخان، 2. الدجال، 3. الدابة، 4. طلوع الشمس من مغربها، 5. نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، 6. يأجوج ومأجوج، 7. خسف بالمشرق، 8. خسف بالمغرب، 9. خسف بجزيرة العرب، 10. نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم.

— نزول عيسى ابن مريم، عليه السلام، من السماء إلى الأرض، يعبد الله تعالى على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، ويكون مأموما في الصلاة لا إماما، يتجوز، ويقتل المسيح الدجال، قال الله تعالى: «وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ وَإِنَّهُ لَعَلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا»، سورة: الزخرف، الآية: 57، 61، قيل علم: علامة.

— خروج المسيح الدجال وهو أقبح مخلوق على صورة إنسان كافر، وله قدرة خارقة على تكفير الناس ويكون له أتباع كثيرون، لا ينجو منه إلا من رحمه الله تعالى، ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: يجيء الدجال حتى ينزل ناحية المدينة، ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات.

— خروج يأجوج مأجوج، يأجوج ومأجوج خلق عجيب وغريب ومفسد، يخرجون ويقتلون أتباع الدجال وكل من صادفهم، قال الله تعالى: «حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ»، سورة: الأنبياء، الآية: 96، 97، وقال الله تعالى فيهم: «قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا»، سورة: الكهف، الآية: 94.

— خروج الدابة، الدابة هي هيئة عجيبة تكلم الناس، قيل تخرج ثلاث خرجات، خرجة بأقصى اليمن وخرجة قريبة من مكة المكرمة وخرجة

بالصفا بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت الحرام ومعه المسلمون، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾، سورة: النمل، الآية: 82،

— طلوع الشمس من مغربها، من السمعيات أنه تطلع الشمس من مغربها في آخر الزمن في يوم واحد وقيل تبقى كذلك ثلاثة أيام، ثم تعود إلى مشرقها، على عادتها إلى يوم القيامة وهي آخر العلامات.

أسئلة القبر من السمعيات أنه يسأل الميت المكلف ولو كافرا في قبره بعد تمام الدفن وانصراف الناس عنه، حقيقة أو حكما، من قبل الملكين المكلفين بذلك وهما منكر ونكير، ويسألانه من ربك؟، وما دينك؟، وما تقول في الرجل الذي بعث فيكم؟.

--- فيقول المؤمن جوابا على سؤال الملكين: ربي الله تعالى، وديني: الإسلام، والرجل المبعوث فينا محمد بن عبد الله عبده ورسوله عليه السلام، فيقول له الملكان انظر إلى مقعدك في النار قد أبدلك الله تعالى به مقعدا في الجنة، فيبقى إلى يوم القيامة إن كان من المؤمنين المجاهدين الصالحين في نعيم دائم، وقيل يعاقب العاصي على عصيانه إلى أمد معلوم، وينتفع بابن صالح وعلم نافع ونحو ذلك من أفعال البر، كما ينتفع الأحياء بأمواتهم، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ، سورة الكهف، الآية: 82،

-- ويقول الكافر جوابا على سؤال الملكين لا أدري، فيقولان له لا دريت ولا تليت انظر إلى مقعدك في الجنة الذي اخترت بدلا منه مقعدا في النار، فيبقى في عذاب دائم إلى يوم القيامة^[1].

البعث والحشر والحساب من السمعيات البعث والحشر والحساب، فالبعث: إحياء الله الموتى وإخراجهم من القبور الحقيقية أو الحكمية بعد جمع أجزائهم الأصلية جمعا لما تفرق أو جمعا بعد العدم بالكلية، وذلك برد الروح إليهم قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾، سورة: الحج، الآية: 6، 7، والحشر: سوق أجساد العباد إلى الموقف المسمى بالمحشر سوقا حسب أعمالهم قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾، سورة: الزمر، الآية: 71، وقال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طُبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾، سورة: الزمر، الآية: 73، والحساب: توقيف الله تعالى العباد في المحشر على أعمالهم قولا وفعلا، بكيفية يعلمها الله تعالى قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾، سورة: إبراهيم، الآية: 41.

الكتب والميزان من السمعيات أيضا الكتب والميزان والصراف، فالكتب: صحائف أو سجلات أو بطاقات لكل مكلف ولو كان غير مسلم تحمل ما كتبه الكتبة والحفظة من أقوال وأفعال المكلفين في الحياة الدنيا، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ فَمَا مَنَ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا وَأَمَّا مَنَ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا وَيَصَلَّىٰ سَعِيرًا﴾، سورة: الانشقاق، الآية: 6، 12.

[1] يرث المؤمنون مقامات الكافرين الشاغرة في الجنة، وأما مكانات جهنم فتضغط على المنافقين والكفار ضغطا.

والميزان: آلة وزن على صورة ميزان الدنيا له كفتان ولسان وقيل هو مطلق العدل قال الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾، سورة: الرحمن، الآية:7، وكيفية الوزن: غيبية.

نعيم الجنة وعذاب النار نعيم الجنة: ثواب وعطاء، والجنة هي البستان، والمراد بها دار الثواب والجزاء على أعمال الإيمان بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قط من أصناف النعيم الجليل العظيم، ولا يقاس نعيم الدنيا الابتدائي المشوب بالابتلاء بنعيم الآخرة الخالص، النعيم الحقيقي الدائم الخالي من الامتحانات والابتلاءات، وقيل للثواب مراتب عديدة، منها نعيم القبر ثم نعيم الحشر ثم نعيم المآل ثم نعيم الخلود ثم نعيم رضوان الله الأكبر، وقيل له سبع طبقات: جنة الفردوس وهي أعلى مراتب الجزاء بالنعيم خالصة لرسول الله ﷺ وأتبيائه وملائكته عليهم الصلاة والسلام، ولمن شاء الله تعالى من أوليائه، وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة النعيم وجنة عدن وجنة دار السلام وجنة دار الجلال.

وعذاب النار: دار العقاب، والنار جسم لطيف محرق والمراد بها دار العقاب وهو الجزاء على الأعمال السيئة من النفاق والكفر بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قط، ولا يقاس عذاب الابتلاء في الدنيا بالعذاب الخالص الشديد، ومراتب العذاب عديدة، منها عذاب القبر ثم عذاب الحشر ثم عذاب المآل ثم عذاب الخلود ثم عذاب غضب الله الأدهى والأمر، وللعقاب سبع طبقات: نار جهنم ونار لظى ونار الحطمة ونار السعير ونار سقر ونار الجحيم ونار الهاوية.

هذا موجز لما سطره العلماء حول مفهوم السمعيات عن طريق التأمل في آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية، أما في الواقع والحقيقة فإن الله تعالى وحده أعلم بغيبه.

الخاتمة

الخاتمة

خير الكلام ما يسعد الإنسان ويخدمه خدمة نافعة، وأصدق القول ما يستحبه العاقلان ولا يختلفان عليه كإطعام الجائع وإغاثة الملهوف وإكرام الوالدين والأقارب، سواء بالغريزة والجبلة أو بالعقل السليم الذي يستقرئ الوقائع وقيسها بظروفه، وأوحش الكلام وأبعده عن النفوس الجدل بالباطل ونكران المسلمات، كنكران فضل الوالدين باعتبار أنهما صنف من الحيوانات التي تلد، وأنهما خادمان يمكن تعويضهما بمقابل، وأفضل ما يسعد الإنسان السوي أن يعرف خالقه ورازقه، وخالق أحبابه والناس أجمعين، معرفة على الوجه الصحيح الذي يقبله عقله هو، ويفرح به في قرارة نفسه حتى يخالط وجدانه ومشاعره، وهذا ما قصده علماء التوحيد الأفاضل عبر العصور من دراساتهم ليطمئنوا أنفسهم بعلمهم وليفرحوا بصحة النتائج، وليسعدوا الناس بجواهر استنباطاتهم وخلاصة علمهم.

إن طلب علم التوحيد غاية سامية كبيرة، فهو علم جليل ومسلك دقيق قد ينسى بعدم المذاكرة، وقد يتناول عليه وعلى المؤمنين أنصار الشيطان، فالكفار والمنافقون يتحسسون نقاط الضعف والسهو والغفلة ويخترعون الأباطيل اختراعا وهم يضحكون، لغرض خفي جُبل المجرمون عليه منذ بدء الخليقة، إما بغضا وحسدا لأهل الإيمان أو حبا للفوضى المنظمة، أو تعطشا للسيطرة والجاه أو طلبا للمال والأعوان أو جبرا من عدو متسلط، أو سهوا من ضعفاء ومغفلين.

اشتملت هذه الدراسة المسيرة على تناول أهم ما يحتاج إليه المسلم من عامة المسلمين بأسلوب سهل وواضح، بعيد عن الإطناب وعن تتبع كل شاردة وواردة التي يستغلها الحمقى غالبا للتلبيس على الناس ولإدخال الوحشة في نفوسهم، فلعل الناظر في هذه الدراسة يجد فيها ما يقنعه بالدليل العقلي النظري والدليل الشرعي ويجد فيها ما يناسب عصر طلب المنفعة السريعة المباشرة، بلا إطناب وبلا استعراضات وبلا تقعر وتزمت.

يستطيع العاقل التأمل والتدبر فيما يساعده على التصور والتصديق، مثل التفكير في قول الله تعالى: فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزُرَابِيٌّ مَبْتُوثٌ أَفْلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ، سورة الغاشية، الآية:13،

إن الله تعالى الذي خلق البعير بصورته الكبيرة يقوم ويقعد مستجيبا لأصوات أو كلمات يسمعها هو الله تعالى القادر على خلق سرير مثلا، سرير يرتفع وينزل بكلمات أو إشارات، ولا شك في أن صناعة الأكواب أسهل من صنع الكواكب، وصنع الوسائد أيسر من صنع الجبال، وتغطية الأرض بالفراش أيسر من صنعها هي كلها وبكل ما اشتملت عليه من جبال ووديان، وبالمثل يستطيع الباحث أن يفهم بجلاء ووضوح جنوح المجرمين، ووجود عبث العابثين وفساد المفسدين، لأن العسرى ميسرة لهم وسائغة، بقدرة الله تعالى التي جعلت القرآن الكريم يهدي المهتدين بالإيثار على النفس مثلا، ويضل الضالين بفوز المزورين الذين يفسدون العقل والدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله تعالى على سيدنا ومولانا محمد النبي الكريم وآله وسلم تسليما كثيرا، الله تعالى ربنا جل جلاله، مولى المؤمنين، نعم المولى ونعم النصير.

تأملات عقلية

1. الكفارة، قال الله تعالى: لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْإِيمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. سورة المائدة، الآية:89.
2. الوسيلة، قال الله تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا، سورة الإسراء، الآية:57.
3. الحيلة، قال الله تعالى: فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّفَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذِنَ مَوْذَنٌ أَبَيْتُهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ، سورة يوسف، الآية:70.
4. القربة، قال الله تعالى: وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، سورة التوبة، الآية:99.
5. الولي، قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾، سورة: يونس، الآية:63. وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾، سورة: آل عمران، الآية:31،32.

تدريبات

س/ المطلوب وضع رقم الجواب الآتي في المكان المناسب

- العقل سر روحاني تدرك به النفس16.....
المستحيل العقلي هو الأمر المنتفي
أشهر من ألف في علم التوحيد.....
يجب لله تعالى إجمالاً كل كمال يليق بذاته
يجب لله تعالى تفصيلاً عشرون صفة وهي: الوجود، والقدم، والبقاء
فجر الله تعالى في فم الإنسان عيناً جارية وهي الريق.....
يستحيل في حق الله تعالى كل نقص، لا يليق به تعالى
من الصفات المعنوية كون الله تعالى حياً وضده كونه ميتاً، وقادراً وضده عاجزاً
يجوز وصفُ الله تعالى بأدلة الكمال البشري
المقصود بكلمة الرسول أنه إنسان حر من بني آدم.....
يجب شرعاً على كل مكلف عاقل من الثقلين أن يعرف بالدليل العقلي: أنه.....1.....
يستحيل في حق رسل الله تعالى
علم التوحيد، هو علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية
موضوع علم التوحيد
مسائل علم التوحيد الواجبات.....
فأثبت علم التوحيد
العرض، وهو ما يوجد في حامله ويزول عنه.....
الدور، وهو: عود
يجب له تعالى عقلاً وشرعاً كل
الحكم العقلي وهو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه
يجب لأنبياء الله ورسله تفصيلاً أربع صفات وهي
فالمغيبات لا تقاس على المشاهدات
يتطلعُ الناس إلى معرفة المسائل الغريبة، معرفة على جهة الحقيقة الملموسة، لذلك
ومن السمعيات الإيمان بوجود الملائكة، والملك هو جسم لطيف روحاني نوراني،
أصدق الكلام ما لا يختلف عليه عاقلان15.....

الأدوية

1. يجب لرسول الله تعالى إجمالا كل كمال بشري يليق بمقام النبوة والرسالة المشرفة.
2. كل نقص بشري لا يليق بهم.
3. المكتسبة، من أدلتها اليقينية.
4. إثبات الصفات الكمالية والتنزيهية لله تبارك وتعالى، ولرسله عليهم الصلاة والسلام.
5. والمستحيلات، والجانزات.
6. معرفة العقائد الصحيحة والفاصلة.
7. من غير فساد، مثل: لون الملون، وحركة المتحرك، وما لا يزول عنه، مثل، سواد القار.
8. الشيء إلى ما كان عليه.
9. كمال يليق بذاته المقدسة، ويستحيل في حقه تعالى كل نقص لا يليق بذاته المقدسة.
10. بواسطة النفس من غير توقف على تكرار، ولا استناد إلى شرع مثل الكل أكبر من الجزء.
11. الصدق والأمانة والتبليغ والفظانة، ويستحيل في حقهم تفصيلا أضدادها.
12. وليس من المغيبات ما يحتاج إلى علم وتجربة كتحويل البخار المتصاعد إلى ماء متساقط.
13. فإن أكثر الناس يترددون في الإيمان بالمغيبات إما لقياسها على المشاهدات أو لصعوبة التصور.
14. له القدرة على التشكيلات الجميلة، وملانكة الله تعالى: خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الله وحده.
15. كحب وبر الوالدين، سواء بالغريزة أو بالعقل كالاقراراف بجميلهما، وكمراعاة طول العشرة معهما.
16. العلوم الضرورية عندها، سواء بالوجدانيات، أو بالحواس.
17. الذي لا يقبل الثبوت في ذاته، وهو قسمان أيضا ضروري، ونظري.
18. إبراهيم الباجوري، وبرهان الدين اللقاني، وأحمد محمد الدردير، ت: 1201هـ.
19. المقدسة، من الصفات الطيبات التي لا نهاية لها في الذهن ولا في نفس الأمر.
20. والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية والحياة والقدرة والإرادة والعلم والكلام والسمع، والبصر وكونه تعالى قادرا ومريدا وعالما وحيا وسميعا، وبصيرا ومتكلما.
21. الذي لا ينقطع جريانه يبطل اللقمة ويسهل بلعها لا تملأه النفس ولا يستطيع الإنسان منعه.
22. حتى إذا كان ذلك النقص كمالا للحوادث، مثل: إنجاب الأولاد، واتخاذ الزوجات.
23. ومريدا وضده مكرها، وعالما وضده جاهلا، ومتكلما وضده أبكم .
24. وأدوات القدرة والإرادة، وذلك للترجمة والتعليم وفقا لما قرره علماء التوحيد.
25. أوحى الله إليه بشرع وأمره بتبليغه، فلفظ النبي أعم لأن كل رسول نبي ولا عكس.

المصادر

- القرآن الكريم.
- حاشية أحمد الصاوي، على شرح الخريدة البهية، لأحمد الدردير، مطبعة مصطفى البابي، القاهرة، ط/ 1947م.
- محمد العمادي، تفسير أبي السعود، دار المصحف، القاهرة.
- عبد الله بن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، مطبعة السعادة، القاهرة، ط/ 1963م.